إسهامات المرأة المغربية
في مجالي التعليم والعمران
(فاطمة ومريم الفهريتان نموذجاً)

إعداد

د. أميرة محمد فتحي خضر

مدرس التاريخ الإسلامي بكلية الدراسات الإنسانية -

تفهنا الأشراف - جامعة الأزهر

إسهامات المرأة المغربية في مجالي التعليم والعمران
(فاطمة ومريم الفهريتان نموذجاً)

أميرة محمد فتحي خضر

البريد الإلكتروني: Amirakhder٨١٤.el@azhar.edu.eg

مدرس التاريخ الإسلامي بكلية الدراسات الإنسانية - تفهنا الأشراف - جامعة الأزهر

الملخص:

يتناول هذا البحث حياة الشقيقتين فاطمة ومريم الفهريتين، ومدى تأثير البيئة في تكوينهما العلمي والمجتمعي حيث نشأن في بيئة تعليمية خالصة من حيث أنهما بنتان لعالم جليل وهو محمد بن عبد الله الفهري، بجانب أنهما ترعرعا في القيروان تلك المدينة التي كان لها دور شديد الأهمية في تطور العلم بالمغرب. عاشت فاطمة ومريم في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، واشتهرتا بأعمالهما الخيرية العلمية. أسست فاطمة جامع القرويين الذي يعد مركزًا ثقافيًا ودينيًا مهمًا في بلاد المغرب، وأوقفت عليه جميع أملاكها، وتخرج منه العديد من العلماء الذين أسهموا في تطور العلم وشيوعه بالمغرب بصفة خاصة والعالم الإسلامي بصفة عامة. حدث تطور مهم لجامع القرويين في العهد المرابطي حيث قام العديد من العلماء باتخاذ المسجد مقرًا لدروسهم العلمية، وارتاده الكثير من طلبة العلم، وحسب نصوص المصادر فإن جامع القرويين دخل مرحلة الجامعة الحقيقية في العصر المريني حيث وجدت فيه ما يسمى بالكراسي العلمية وبنيت المدارس حوله. كما أسست مريم الفهرية جامع الأندلس الذي يعد جزءًا من التراث الثقافي لمدينة فاس، وكان له دور عظيم في نشر العلم ببلاد المغرب، كما درس فيه أكابر العلماء. وقد أسهمتا السيدة فاطمة ومريم في حركتي التعليم والعمران من خلال تشييد مسجدي القرويين والأندلس.

الكلمات المفتاحية: فاطمة- مريم- القيروان- فاس- جامع القرويين- جامع الأندلس- التعليم- المساجد- المرأة- العمران- الأمير إدريس الثاني- الأمير يحيى.

Contributions of Moroccan Women in the Fields of Education and Urbanism (Fatima and Mariam Al-Fihri as a Model)

Amira Mohamed Fathy Khodr
Email: Amirakhder٨١٤.el@azhar.edu.eg
Teacher of Islamic History at the Faculty of Human Studies - Tuhna Al-Ashraf - Al-Azhar University Abstract:

Abstract:
This research examines the lives of the two sisters, Fatima and Maryam al-Fihri, and the extent to which they were influenced by their upbringing. They were raised in a purely educational environment, as the daughters of the eminent scholar Muhammad ibn Abdullah al-Fihri. They also grew up in Kairouan, a city that played a crucial role in the development of science in Morocco. Fatima and Maryam lived in the third century AH/ninth century AD and were known for their charitable and scholarly work. Fatima founded the Al-Qarawiyyin Mosque, an important cultural and religious center in the Maghreb. Many scholars graduated from it, contributing to the development and spread of science in Morocco in particular and the Islamic world in general. The Al-Qarawiyyin Mosque underwent significant development during the Almoravid era, as many scholars used the mosque as a venue for their academic lessons, and many students of knowledge frequented it. According to sources, the Al-Qarawiyyin Mosque entered the stage of a true university during the Marinid era, when what were called academic chairs were established there and schools were built around it. Maryam al-Fihri also founded the Andalusian Mosque, which is part of the cultural heritage of the city of Fez. It played a significant role in spreading knowledge throughout the Maghreb, and prominent scholars studied there.Lady Fatima and Maryam contributed to the education and urban development movements through the construction of the Al-Qarawiyyin and Al-Andalus mosques.

Keywords: Fatima - Maryam - Kairouan - Fez - Al-Qarawiyyin Mosque - Al-Andalus Mosque - Education - Mosques - Women - Urban Development - Prince Idris II - Prince Yahya.

مقدمة

ساهمت المرأة المسلمة بشكل فعال في تقدم المجتمع من خلال نواحي عديدة ومجالات شتى، ولقد أدركت السيدتان فاطمة ومريم الفهري أهمية المساجد؛ لذلك شيدتا مسجدين كان لهما أكبر الأثر في تطور العلم وانتشاره بالمغرب .

وتأتي أهمية البحث في أنه يسلط الضوء على إسهامات المرأة المغربية في تطور العلم من خلال اهتمامها بالتشييد والعمران .

إشكالية البحث:

كان الباعث على التفكير في هذا الموضوع هو إظهار دور المرأة المسلمة العلمي في محيطها الاجتماعي والإنساني إذا ما أتيحت لها الفرصة، حيث استطاعت فاطمة ومريم الفهريتان بناء مسجدين كان لهما أكبر الأثر في شيوع العلم وتطوره ببلاد المغرب.

الدراسات السابقة:

على الرغم من كثرة الدراسات التي تحدثت عن فاطمة ومريم الفهريتين إلا أنه لم توجد دراسة مفصلة ألمت بكل جوانب حياتهما، وهذا لا يعني أن الدراسة لم تستفد مما سبق من دراسات، بل قدمت هذه الدراسات العون الكثير في استكشاف جوانب الموضوع، ومن أهم هذه الدراسات التي تحدثت عن فاطمة ومريم الفهريتين:

١- **أميرة بنت علي الصاعدي:** إسهام المرأة المسلمة في مجال البحث العلمي، تمكين المرأة في البحث العلمي، عمادة البحث العلمي، جامعة أم القرى، السعودية.

تحدث هذا البحث عن دور نساء العرب والمسلمين في تأسيس الجامعات والمراكز العلمية المتميزة، كما تطرق إلى الحديث عن فاطمة الفهرية كمؤسسة أقدم جامعة في العالم.

٢- **الصغير الغربي:** مؤسسة القرويين أقدم جامعات العالم، مجلة أجسر، منظمة المجتمع العلمي العربي، ٢٠١٧م.

ركز الباحث في دراسته عن دور فاطمة الفهرية في تأسيس جامع القرويين، وتحوله إلى جامعة، وتدريس أكابر العلماء فيه.

٣- **عبد الهادي التازي:** جامع القرويين" المسجد والجامعة بمدينة فاس"، ط٢، دار نشر المعرفة، الرباط، المغرب، ٢٠٠٠م.

الكتاب أصله رسالة دكتوراه، تحدث فيه الباحث باستفاضة عن ميلاد دولة الأدارسة وهجرة فاطمة الفهرية من القيروان إلى فاس، كما تطرق للحديث عن اللوحة التي عثر عليها والتي تشكك في صحة بناء السيدة فاطمة الفهرية للمسجد، وتطرق أيضًا للحديث عن الزيادات المعمارية والتاريخ الفكري للقرويين في مختلف العصور.

٤-**فاطمة نافع:** أبعاد شخصية السيدة فاطمة الفهرية أم البنين، مجلة عطاء، المجلس العلمي الأعلى، أكتوبر، ٢٠١١م.

تحدثت الدراسة بإيجاز عن السيدة فاطمة الفهرية وأصولها القيروانية، كما تحدثت عن هجرة السيدة فاطمة الفهرية من القيروان إلى فاس، وانخراطها في حركة العمران زمن الأمير يحيى بن إدريس وبنائها جامع القرويين.

٥- **مهدي الإدريسي سليطين:** جامع القرويين وإشكالية التأسيس بين داود بن إدريس وفاطمة الفهرية " مقاربة تاريخية على ضوء السرديات التاريخية والمعطيات الأثرية، كلية الحكامة والعلوم الاقتصادية والاجتماعية، جامعة محمد السادس متعددة التخصصات التقنية، معهد الدراسات السياسية بباريس، نوفمبر، ٢٠٢٤م.

يتناول هذا البحث إشكالية تأسيس جامع القرويين ويخلص البحث إلى أن الأمير داود بن إدريس هو من أمر بتأسيس المسجد، واقتصار دور السيدة فاطمة الفهرية على التمويل المالي.

وبالنسبة لبحث: **إسهامات المرأة المغربية في مجالي التعليم والعمران" فاطمة ومريم الفهريتان نموذجًا** " فقد تحدث عن بيت محمد بن عبد الله الفهري كواحد من أهم البيوت العلمية الذي كان له دورٌ هامٌ في تطور العلم بإفريقية في القرنين الثاني والثالث الهجريين، وينتسب لهذا البيت مسجدان هما مسجدا القرويين والأندلس اللذين تحولا إلى قبلة علمية جذبتا العديد من العلماء، مر هذا البيت بمراحل هامة سواء داخل مدينة القيروان وهي المدينة التي احتضنت هذا البيت، أو بعد الهجرة إلى فاس، وكانت انطلاقة هذا البيت بعد وفاة مؤسس البيت والأب وهو محمد بن عبد الله الفهري، لتقرر ابنتاه رد الجميل للأب وللمدينة التي استضافتهم بين جنباتها ببناء مسجدين كانا لهما أعظم الأثر في النهضة العلمية التي شهدها المغرب منذ أن تم تأسيس المسجدين إلى اليوم.

<u>خطة البحث:</u>

يشتمل هذا البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين:

تناولت في التمهيد مكانة المرأة ودورها في المغرب، وأشهر النساء اللائي نبغن بالقرن الثالث الهجري وهي الفترة التي عاشت فيها فاطمة ومريم الفهريتان .

وتناول المبحث الأول نشأة السيدتين فاطمة ومريم، والأسباب التي أدت بفاطمة ومريم الفهريتين إلى الاهتمام بالتعليم والعمران، والمكانة العلمية لوالدهما وصولًا لهجرتهم من القيروان إلى فاس.

فيما رصد المبحث الثاني مسجد القرويين من حيث بناء المسجد والنفقة عليه واستمرار دور المسجد وتطوره في العصور المتعاقبة بعد وفاة السيدة فاطمة الفهرية، خاصة وقد أوقفت السيدة فاطمة الفهرية جزءًا من ممتلكاتها

كوقف على المسجد لرغبتها في استمرار دوره العلمي، ومسجد الأندلس من حيث مراحل تشييده والنفقة عليه وتطوره العلمي .

وأنهيت البحث بخاتمة بها أهم النتائج التي تم التوصل إليها، ثم اتبعتها بقائمة مصادر ومراجع وثيقة الصلة بالبحث .

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج التاريخي السردي واستخدمت وسائله القائمة على التقصي والتحليل والاستقراء وذلك من خلال مطالعة المصادر التاريخية التي تخصصت بالحديث عن بلاد المغرب واستخلاص المادة التاريخية منها، ثم أردفته بالمنهج الاستقرائي التحليلي والوصفي، والمنهج الاستنباطي ليتبين إسهامات السيدتين فاطمة ومريم الفهريتان في مجالي التشييد والعمران ببلاد المغرب.

تمهيد:

مكانة المرأة في الغرب الإسلامي

احتلت المرأةُ في الإسلامِ مكانة متميزة، فكَّرم الإسلام المرأة وأعطاها حقوقها كاملةَ، ومن ضمن هذه الحقوق التعليم، فحث الرسول ﷺ على التعليم، وأمر المتعلمين بأن يعلموا غيرهم مهما بلغ بهم ذلك من مشقةٍ، وأمر النساء بالتعليم كالرجال حيث كلف ﷺ الشفاء بنت عبد الله العدوية([1]) بأن تعلم زوجته حفصة الكتابة([2]).

ولم تكن هذه الحقوق مختصة بالنساء في المشرق بل كانت حقوقًا عامةً لنساء المسلمين في كل زمان ومكان حيث مارست المرأة في بلاد الغرب الإسلامي دورًا بارزًا في الحياة السياسية والعسكرية والعلمية، وظهر ذلك بوضوح في مشاركتها في الأحداث السياسية الهامة منها على سبيل

([1]) **الشفاء بنت عبد الله العدوية:** هي ليلى بنت عبد الله بن عبد شمس بن خلف بن صداد بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب القرشية العدوية، تكنى بالشفاء، أسلمت قبل الهجرة، وكانت من القلائل الذين عرفوا القراءة والكتابة في العصر الجاهلي. **النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن (ت٣٠٣هـ/٩١٦م):** سنن النسائي، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ج٤، ص٣٦٦. **ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م):** أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج ٧، ص٢٨٠.

([2]) جاء في السنن الكبرى عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة أن الشفا بنت عبد الله قالت : "دخل علي رسول الله ﷺ وأنا قاعدة عند حفصة قال: " ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة". **النسائي:** كتاب الطب، باب رقية النملة، حديث رقم ٧٥٤٣، ج٤، ص ٣٦٦.

المثال ولا الحصر السيدة كنزة الأوروبية([1]) والتي لعبت دورًا مهمًا في توطيد أركان دولة الأدارسة، حيث تزوجت من المولى إدريس الأول([2]) والذي فَرَّ

([1]) **كنـزة الأوروبيـة:** هـي ابنـة الأميـر إسـحاق بـن محمـد بـن عبـد الحميـد الأوروبـي، وتنتسب إلى قبيلة أوربة الأمازيغية، عاشت فيما بين القرنين الثاني والثالث الهجريين . **ابـن عـذاري المراكشـي، أبـو عبـد الله محمـد بـن محمـد (ت٦٩٥هـ/١٢٩٦م):** البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط٣، دار الثقافة، بيروت، لبنـان، ١٩٨٣م، ج١، ص٢١٠. **ابـن خلـدون، عبـد الـرحمن بـن محمـد بـن خلدون(ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م):** العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ج٦، ص١٩٥.

([2]) **إدريـس الأول:** هو إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، مؤسس دولة الأدارسة التي تعد ثاني دولة إسلامية مستقلة عن الخلافة الإسلامية في المغرب الأقصى بعد دولة الأمويين في الأندلس، نجا من معركة فخ بين العلويين والعباسيين التي وقعت بالقرب من مكة سنة ١٦٩هـ/٧٨٦م، واتجه إلى مصر ثم خرج منها بمساعدة واضح مولى صالح بن أبي جعفر المنصور، ومعه خادمه راشد، واتجها إلى القيروان وأقاما بها مدة زمن يزيد بن حاتم بن قبيصة، وكانت القيروان في ذلك الوقت خاضعة لحكم العباسيين، ووواليها يخضع مباشرة لسلطان الخليفة العباسي ببغداد؛ لذلك لم يطمئن إدريس للمقام بالقيروان وقرر الهروب فخرج هو ومولاه راشد حتى حل بتلمسان، ومنها إلى طنجة، وكانت طنجة في ذلك الوقت خارجة عن سيطرة الخليفة العباسي، إلا أنها لم تلبي الطموحات السياسية ولا حتى التطلعات الأمنية بالإضافة إلى أنها المركز الرئيسي للعبور إلى الأندلس، فهي مهددة من دولة الأمويين بالأندلس؛ لذلك قرر مغادرتها، ونزل في مدينة وليلي سنة ١٧٢هـ/٧٨٩م، وهناك كانت البيئة مواتية حيث بايعته قبائل البربر بعد أن عرفوا قرابته من رسول الله ﷺ، قيل أنه مات مسمومًا بأمر من هارون الرشيد سنة ١٧٥هـ/٧٩١م، وقيل سنة ١٧٧هـ/٧٩٣م. **البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م):** أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار، رياض زركلي، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج٣، ص٣٥٥. **الكتـاني، عبـد الحـي الكتـاني(ت١٣٨٢هـ/١٩٦٣م):** نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت، ج ١، ص ٨.

من بطش العباسيين ونجح في تأسيس دولة الأدارسة، وقامت السيدة كنزة بجهد هائل من أجل استقرار الدولة بعد وفاة زوجها، وأظهرت نبوغًا في إعداد ولدها إدريس الثاني([1]) ليتحمل عبء الدولة، وتحولت حكمتها ونصحها إلى التدخل في شئون الحكم في الأوقات العصيبة([2]).

وظهرت المكانة العسكرية للمرأة المغربية في محاربة الخوارج([3]) بالتحديد في عهد الأمير حنظلة بن صفوان([4])(١٢٤-١٢٧هـ/٧٤٢-٧٤٥م)

([1])**إدريس الثاني:** وهو إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ويعرف بإدريس الأزهر ولد سنة ١٧٧هـ/٧٩٣م، ابن السلطان إدريس الأول مؤسس دولة الأدارسة، والحاكم الثاني لدولة الأدارسة، حفظ إدريس الأزهر القرآن وهو ابن ثماني سنين، كما تعلم السنة والفقه والنحو، وتدرب على ركوب الخيل والرمي بالسهام ومكايد الحرب، وتوفى إدريس الثاني في الثاني عشر من جمادي الأخرة سنة ٢١٣هـ/٨٢٩م، ويبلغ من العمر ست وثلاثون سنة. **ابن عذاري:** البيان المغرب، ج١، ص٢١٠. **الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري(ت ١٣١٥هـ/١٨٩٨م):** الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج١، ص٢١٦.

([2])**ابن عذاري:** البيان المغرب، ج١، ص٢١٠. **ابن خلدون:** تاريخ ابن خلدون، ج٦، ص١٩٥.

([3])تولى حنظلة بن صفوان ولاية المغرب سنة ١٢٤هـ/٧٤٢م، وبعد وقت قصير من ولايته زحف إليه عكاشة الصفري في جمع عظيم من البربر، ووقعت بين الفريقين حرب عظيمة حيث التحم القتال، ولم يسمع إلا وقع الحديد على الحديد من شدة القتال، وانتهت المعركة بهزيمة الخوارج . **ابن عذاري المراكشي** : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج١، ص٥٨.

([4])**حنظلة بن صفوان الكلبي:** هو حنظلة بن صفوان بن تويل بن بشر بن حنظلة، يكنى بأبي حفص الكلبي، من أهل دمشق ولي إمرة مصر مرتين والمغرب ليزيد بن عبد الملك ولهشام بن عبد الملك وولي أفريقية ليزيد بن الوليد. **ابن عساكر، علي بن الحسن بن**

حيث كان لهن دوّر قويٌ في سير المعركة من خلال رفع الروح المعنوية للرجال، وحملهم على عدم الفرار ومواصلة القتال، كما كان لهن مشاركة قوية في الأحداث العسكرية للمعركة نفسها حيث عقدن الألوية وعزمن على القتال وأخذن معهن الأسلحة واستبسلن للموت مع الرجال وحلفن لأزواجهن: "لئن انهزم أحد منكم إلينا موليًا عن العدو لنقتله"([1]).

وإذا كانت النساء في الغرب الإسلامي قد شاركن في السياسة والحروب فمن باب أولى أن يكون لهن دور عظيم في التعليم والتعلم خاصّة مدينة القيروان([2]) حيث كان لنساء القيروان حظ وافر في تلقي العلوم والنهل من مختلف أنواع المعارف، ويؤكد ذلك ابن خلدون، حيث قال عن التعليم

هبة الله بن عبد الله (ت٥٧١هـ/١١٧٦م): تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م، ج١٥، ص٣٣٠-٣٣٢.

([1])**ابن الرقيق القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم(ت٤٢٠هـ/١٠٢٩م):** تاريخ أفريقية والمغرب، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، ط١، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، ليبيا،١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص٧١.**ابن عذاري المراكشي:** البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج١، ص٥٨. **محمد زيتون:** القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، ط١، دار المنار، القاهرة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص١٧٣.

([2])**القيروان:** أصلها كلمة فارسية دخلت إلى العربية فتحولت من كاروان إلى القيروان، وتعني مكان السلاح أو استراحة الجيش وموضع اجتماع الناس في الحرب، وهي أم أمصار وقاعدة أقطار وكانت أعظم مدن الغرب اختطها معاوية بن حديج بموضع يقال له القرن، ولما تولى عقبة بن نافع لم يعجبه الموضع، وانتقل إلى القيروان. **الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل(ت٤٢٩هـ/١٠٣٨م):** فقه اللغة، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص٤١. **البكري، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي(ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م):** معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، ط٣،عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج٣، ص١١٠٥.

بالقيروان: "القيروان وقرطبة كانتا حاضرتي المغرب والأندلس واستبحر عمرانهما وكان فيهما للعلوم والصّنائع أسواق نافقة([1]) وبحور زاخرة، ورسخ فيهما التّعليم لامتداد عصورهما وما كان فيهما من الحضارة، فلمّا خربتا انقطع التّعليم من المغرب إلا قليلا كان في دولة الموحّدين بمراكش..."([2]).

وقد نبغ في القرن الثالث الهجري الذي عاشت فيه فاطمة ومريم الفهري عالمات جليلات اشتهرن على مدى التاريخ بأعمالهن الجليلة منهن على سبيل المثال لا الحصر: "أسماء بنت أسد بن الفرات([3])، وخديجة بنت

([1]) **أسواق نافقة:** أي عامرة بالمرتادين، يقال: نفقت السوق أي قامت وراجت ورغب فيها. **ابن سيده المرسي، أبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي(ت٤٥٨هـ/١٠٦٦م):** المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج٣، ص٤٣٥. **الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني(ت١٢٠٥هـ/١٧٩١م):** تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، الإسكندرية، ج ٢٦، ص٤٣١.

([2]) تاريخ ابن خلدون، ج١، ص٥٤٤.

([3]) **أسماء بنت أسد بن الفرات:** هي أسماء بنت أسد بن الفرات القيروانية، ابنة عالم إفريقية وقاضيها، وصاحب الإمامين أبي يوسف ومالك بن أنس. نشأت أسماء بين يدي أبيها – ولم يكن له سواها – فأحسن تهذيبها، وثقف ذهنها علمًا وحكمة. وكانت تحضر مجالسه العلمية في داره، وتشارك في السؤال والمناظرة، حتى اشتهرت بالفضيلة، ورواية الحديث، والفقه على رأي أهل العراق أصحاب أبي حنيفة. وبعد وفاة أسد تزوجت أسماء بأحد تلاميذ أبيها، وهو محمد بن أبي الجواد، وتوفيت في حدود سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤م. **ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد(ت٧٩٩هـ/١٣٩٧م):** الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: محمد الأحمدي، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، د. ت، ج١، ص٣٠٥. **محمد خير رمضان يوسف:** فقيهات عالمات، دار طويق للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، السعودية، د. ت، ص١٨.

سُحنون([1])، وفاطمة ومريم بنتا عبد الله الفهري"([2]) اللتان هما موضوع البحث.

ويعد بيت محمد بن عبد الله الفهري واحدًا من أهم البيوت التعليمية التي كان لها دورٌ حضاريٌ بإفريقية، وشكل هذا البيت مع بيوت أخرى كبيت ابن سحنون([3]) وغيره جزءًا من النهضة الحضارية التي شهدتها أفريقية في القرنين الثالث والرابع الهجريين، ولعل بيت محمد الفهري يعطي مثالًا واضحًا على أهمية دوره التعليمي والعمراني من خلال دور مسجد القرويين والأندلس التعليمي.

([1]) **خديجة بنت سحنون:** هي خديجة بنت الإمام سحنون واسمه عبد السلام بن سعيد التنوخي، وتعرف بخديجة القيروانية، اشتهرت خديجة بالدين والعقل والعلم، حتى أنه لما عرض على والدها القضاء لم يقبله إلا بعد أخذ رأيها، وكذا كان يفعل أخوها محمد بعد وفاة أبيهما، وماتت وهي بكر في حدود سنة ٢٧٠هـ/٨٨٤م. **القاضي عياض، عياض بن موسى اليحصبي(ت٥٤٤هـ/١١٤٩م):** ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: محمد سالم هاشم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ج١، ص٣٤٦. **محمد خير رمضان يوسف:** فقيهات عالمات، ص٢٦.

([2]) **حسن حسني عبد الوهاب:** بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعره ابن رشيق، ط٢، مكتبة المنار، تونس، د. ت، ص٥٨، ٥٩. شهيرات التونسيات، المطبعة التونسية، تونس،١٣٥٣هـ/١٩٣٤م، ص٢٢-٢٤. **محمد خير رمضان يوسف:** فقيهات عالمات، ص١٨،٢٦.

([3])**ابن سحنون، محمد بن سحنون بن عبد السلام(ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م):** آداب المعلمين، تحقيق: محمد عبد المولى، ط٢، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨١م، ص٣٤. **القاضي عياض:** ترتيب المدارك، ج١، ص٣٤٦.

المبحث الأول:

"مولد ونشأة السيدتين" فاطمة ومريم الفهريتين".

ساهمت السيدتان فاطمة ومريم الفهريتان بشكلٍ كبيرٍ في تطور العلم بالمغرب بشكل عام ومدينة فاس بشكل خاص من خلال إنشاء مسجدين كان لهما دورٌ عظيمٌ في ذيوع العلم بتلك المنطقة، وكان لنشأة السيدتين فاطمة ومريم الفهريتان بمدينة القيروان وفي بيت علم([1]) دورٌ كبيرٌ في تشكيل شخصيتهما حيث أحبتا العلم والعلماء وبذلا الغالي والنفيس في سبيل ذلك كما سيتضح في الصفحات القليلة المقبلة. ففاطمة ومريم هما ابنتا الفقيه القيرواني محمد بن عبد الله الفهري([2])، كنيت فاطمة بأم البنين([3])،

([1]) كان والدهما محمد بن عبد الله الفهري من علماء الفقه المشهورين بالقيروان. **ابن القاضي، أحمد بن القاضي المكناسي (ت١٠٢٥هـ/١٦١٦م):** جذوة الاقتباس في ذكر من حل من العلماء مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب،١٩٧٣م، رقم الترجمة ١٧٧، ص٢١٣.

([2]) **محمد بن عبد الله الفهري:** هو محمد بن عبد الله الفهري، يمتد نسبه إلى فهر بن مالك ، نشأ بالقيروان، وانتقل إلى مدينة فاس بالمغرب الأقصى واستقر هناك، مات وترك لبناته ثروة طائلة. **ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي(ت٢٠٤هـ/٨٢٠م):** نسب معد واليمن الكبير، تحقيق: ناجي حسين، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج٢، ص٥٦٠. **ابن أبي زرع الفاسي، علي بن محمد بن أحمد(ت٧٢٦هـ/١٣٢٦م):** الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق: كارل يوحن تورنبرغ، دار الطباعة المدرسية، مدينة أوبسالة، السويد،١٨٤٣م، ص٣٠. **الجزنائي، أبو الحسن علي الجزنائي(ت٧٤٥هـ/١٣٤٤م):** جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، ط٢، المطبعة الملكية، الرباط، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص٤٥.

([3])**ابن أبي زرع:** لأنيس المطرب بروض القرطاس، ص ٣٠. **الجزنائي:** جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص٤٥. **الناصري:** الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،

وعاشت فاطمة ومريم سنوات طفولتهما الأولى بالقيروان تلك المدينة التي كانت تنتشر الكتاتيب والمساجد بين ربوعها وازدهرت الحياة الفكرية فيها([1])، وصفهما عمر رضا كحالة([2]) بأنهما من ربات البر والإحسان، وهاجرت السيدة مريم رفقة شقيقتها من القيروان إلى فاس([3]) التي انقسمت إلى عُدْوتين القرويين والأندلس([4]) ولم تحدد المصادر الكبرى منهما.

ولعل الفترة التي عاشت فيها السيدتان فاطمة ومريم كانت عصر ازدهار بالنسبة للمرأة القيروانية حيث كانت لها مشاركة حقيقية في المجتمع

ج١، ص٢٣١. **عبد الهادي التازي:** جامع القرويين" المسجد والجامعة بمدينة فاس"، ط٢، دار نشر المعرفة، الرباط، المغرب، ٢٠٠٠م، م١، ص٤٦.

([1])**ابن سحنون:** آداب المعلمين، ص٦٢،٦٣. **ابن أبي زرع الفاسي:** الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص٢٩،٣٠. **الجزنائي:**جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص٤٥. **حسين مؤنس:** المساجد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨١م، ص١٦٤. **محمد زيتون:** القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، ص١٩٠،٢٤١.

([2]) أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج٤، ص١٣٦،١٣٧. ج٥، ص٤٢.

([3]) **فاس:** هي مدينتان مقترنتان بينهما نهر، تم بناء مدينة فاس الأولى على يد إدريس الأول التي عرفت فيما بعد بعدوة الأندلسيين سنة ١٩٢هـ/٨٠٧ م، فيما تم بناء مدينة فاس الثانية التي عرفت فيما بعد بعدوة القرويين سنة ١٩٣هـ/٨٠٨م لاستيعاب الزيادة المطردة في عدد المهاجرين من إفريقية والأندلس وغيرهما. **البكري:** المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م، ج٢، ص٧٩٥. **ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله(ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م):** معجم البلدان، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ج٤، ص٢٣٠. **الجزنائي:** جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص١٨.

([4])**ابن أبي زرع:** الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص٢٩،٣٠. **الجزنائي:** جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص٤٥. **حسن حسني عبد الوهاب:** شهيرات التونسيات، ص٢٠. **فاطمة نافع:** أبعاد شخصية السيدة فاطمة الفهرية أم البنين، مجلة عطاء، المجلس العلمي الأعلى، أكتوبر، ٢٠١١م، ص١٠١.

القيرواني، كما كانت محترمة الجانب مراعية للحقوق، متمتعة بالحرية التي تخولها لها الشريعة الإسلامية وحيث كان للنساء في بلاد القيروان شخصية وكيان مستقل وتمتعن بكثير من الحقوق والامتيازات، فقد استفادت كل من فاطمة ومريم بنات محمد الفهري من ذلك، حيث ترعرعتا في بيئة صحية ومجتمع علمي، ولذا شيدوا واحدًا من أهم الصروح العلمية على مدى التاريخ، فبنت السيدة فاطمة جامع القرويين بعدوة القرويين، في حين تكفلت السيدة مريم ببناء مسجد الأندلس([1]).

- الأسباب التي دفعت فاطمة ومريم الفهري إلى الاهتمام بالتعليم والعمران:

تضافرت عدة أسباب أدت إلى إسهام فاطمة ومريم بشكل كبير في النهضة التعليمية والعمرانية ببلاد المغرب، ومن أهم هذه الأسباب:

١- **النشأة بمدينة القيروان([2]):** أضحت القيروان بعد تأسيسها عزًا للإسلام، وقاعدة علمية وثقافية لبلاد المغرب والأندلس، وقد كانت القيروان

([1])**ابن أبي زرع:**الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص٢٩، ٣٠. **الجزنائي:** جني زهرة الآس، ص٤٥. **حسن حسني عبد الوهاب:** بساط العقيق في حضارة القيروان، ص٤٠.

([2]) شرع عقبة بن نافع في عام ٥٠هـ/٦٧٠م بتأسيس مدينة القيروان، ونجح بمعاونة أصحابه في بناء المسجد الجامع ودار الإمارة، كما اختط الناس مساجدهم ومساكنهم بها، واستمر البناء خمس سنوات، حيث شعت منها أنوار الإسلام إلى الشمال الأفريقي، ثم عبر منها إلى أوربا عن طريق الأندلس، ثم عم جزر البحر الأبيض المتوسط ليصل إلى معقل المسيحية في روما. **ابن خياط، خليفة بن خياط(ت ٢٤٠هـ/٨٥٥م):** تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار القلم، مؤسسة الرسالة، دمشق، بيروت، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص٢١٠. **القضاعي، محمد بن عبد الله بن أبي بكر (ت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م):** الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م، ج٢، ص٣٢٣. **المقدسي، محمد بن أحمد(ت٣٩٠هـ/١٠٠٠م):** أحسن

تلعب دورين مهمين في آنٍ واحدٍ، هما الجهاد والدعوة فبينما كانت الجيوش تخرج للتوسع والغزو العسكري، كان الفقهاء يخرجون منها لينشروا الإسلام ويعلموا اللغة العربية، وفي هذا يذكر المالكي: "فشد إليها الناس المطايا من كل مكان، وعمرت بفضلاء الناس من الفقهاء، والمحدثين، والمتطوعين، والعابدين، والنسّاك، والزاهدين، وأعزّ بها الإسلام وأهله. ودمغ بها أهل النفاق والأهواء والشك والضلالة"([1]).

وقد صحب تأثير مركزها كعاصمةٍ سياسيةٍ ومركز للثقل السياسي ببلاد المغرب تأثيرٌ اقتصاديٌ وثقافيٌ وعلميٌ أيضًا، حيث كانت القيروان مدينةً من أهم المدن التجارية يؤمها تجار المغرب من كل حدب وصوب، كما كانت ملتقى المدارس الفكرية المختلفة ومحطَّ رجال الفكر والدارسين([2])، ولا سيما بعد تعدد المساجد([3])، فقد حرص بعض ممن استقر بالقيروان على

التقاسيم في معرفة الأقاليم (مختارات)، تحقيق: غازي طليمات، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، ١٩٨٠م، ص ٢٠٢،٤٥١.

([1])رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، تحقيق: بشير البكوش، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ج١، ص١٣.

([2])**ابن عساكر**: تاريخ مدينة دمشق، ج٢٢، ص٢٢٦. ج٤٠، ص٥٣٢. **ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن على(ت ٧١١هـ/١٣١١م)**: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق: روحية النحاس وآخرين، ط١، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سوريا، ١٤٠٢هـ/١٩٨٤م،ج١٧، ص١١٠. **المالكي، عبد الله بن محمد المالكي(ت ٤٧٤هـ/١٠٨٢م)**: رياض النفوس، ترجمة رقم ٣٢، ج١،ص١٠٦. **الحبيب الجنحاني**: القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب العربي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٦٨م، ص١١١. **محمد زيتون**: القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، ص٢٤١.

([3]) تعددت المساجد في القيروان ومنها على سبيل المثال وليس الحصر المسجد الجامع، والمسجد الكبير المعروف بمسجد الزيتونة والذي بناه إسماعيل بن عبيد

بناء مسجد بجوار بيته؛ وذلك لمعرفتهم أن المسجد هو البيئة الخصبة والصالحة لنمو الحياة العلمية وبشكل خاص العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم([1]).

كذلك الكتاب والزوايا([2]) حيث كان الطلاب يجتمعون مع معلمهم الذي يعلمهم مبادئ القراءة والكتابة، والقرآن الكريم وأصوله إلى جانب الأحاديث

الأنصاري المعروف بتاجر الله، ومسجد يحيى بن عمر، ومسجد السبائي، ومسجد يحيى بن مسكين. **ابن منظور**: مختصر تاريخ دمشق، ج١٧، ص١١٠. **المالكي**: رياض النفوس، ترجمة رقم ٣٢، ج١،ص١٠٦. ترجمة رقم ١٦٠، ص٤٩٣،٤٩٤. **القاضي عياض**: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ج١، ص٥٠٧.

([1])**المالكي**: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان، ترجمة رقم٣٢، ج١، ص١٠٧،١٠٦. **الدباغ، عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الله(ت٦٩٩هـ/١٣٠٠م)**: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق: عبد المجيد الخيالي، ط١، دار المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ترجمة رقم١٤٠، ج٢، ص١٢١. **محمد زيتون**: القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، ص١٩٠. **الطاهر بن محمد المعموري**: جامع الزيتونة ومدارس العلم في العهدين الحفصي والتركي، الدار العربية للكتاب، ميتشغان، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٨٠م، ص١٥.

([2]) **يقول حسن حسني عبد الوهاب عن التعليم بالقيروان في القرن الثالث الهجري وهي الفترة ذاتها التي عاشت فيها السيدتان فاطمة ومريم** :" أنه لم ينحصر في الكتاتيب والمساجد بل أن غالب الأسرات المترفهة ولا سيما الأمراء ومن يلتحق بهم إنما يجلبون لأبنائهم المعلمين فيلقنونهم بمنازلهم على السنة الجارية للأن عند الذوات، وكان الوجهاء يبذلون الأموال لاكتساب المعارف، حسبنا شاهدًا أن الإمام يحيى بن عمر الكناني من علماء القرن الثالث أنفق في طلب العلم ستة آلاف دينار"خمسة وتسعون ألف فرنك ذهبًا" وقس على ذلك". بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق، ص٥٨.

ومن المعروف أن أسرة محمد بن عبد الله الفهري كانت من أغنى الأسر التي عاشت بالقيروان بدليل تلك الثروة الهائلة التي تركها محمد بن عبد الله الفهري لبناته بعد وفاته؛

النبوية الشريفة، وفي بعض الأحيان يضاف للتلميذ مبادئ علوم أخرى حتى يهيأ لاقتحام حلقات الدروس العلمية التي كانت منتشرة بنواحي القيروان([1]).

وفي هذه المدينة التي توصف بأنها أول حاضرة إسلامية ببلاد المغرب العربي نشأت فاطمة ومريم، فقد كان لنشأتهما بمدينة القيروان([2]) أثرٌ كبيرٌ في تكوين شخصيتهما مما انعكس على ميولهن ومن ثم بناء مسجدي القرويين والأندلس([3]).

لذلك فإنه من غير المستبعد أن يكون محمد بن عبد الله الفهري قد جلب معلمين لبناته بالمنزل، ولعل هذا ما يفسر اهتمام السيدتين فاطمة ومريم بإنشاء مسجدي" القرويين، والأندلس" ليكون مكانًا لإقامة الصلاة، وتعليم الغلمان.

([1])**الدباغ:** معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ترجمة رقم ٣٧٢، ج٤، ص١٣٠.**محمد زيتون:** القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، ص١٩٠. **الطاهر بن محمد المعموري:** جامع الزيتونة ومدارس العلم في العهدين الحفصي والتركي، ص٢١،٢٢.

([2]) دخل عقبة بن نافع القيروان بصحبة خمس وعشرين من أصحاب النبي ﷺ، كما أرسل الخليفة عمر بن عبد العزيز(٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م) عشرة من التابعين ليفقهوا الناس بالقيروان، وهكذا نالت القيروان حظا وافرًا من العلوم الشرعية وزاد عدد العلماء فيها، وكثرت الرحلة في طلب العلم من القيروان إلى أقطار الأرض قاطبة ثم يرجع إليها بعض من خرجوا لطلب العلم يعلمون ويفقهون الناس. **أبو العرب التميمي، محمد بن أحمد بن تميم(ت٣٣٣هـ/٩٤٥م):** طبقات علماء إفريقية وكتاب طبقات علماء تونس، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ص٨. **النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(ت٧٣٣هـ/١٣٣٣م):** نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قمحية وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م،ج٢٤، ص١٢.

([3])**ابن أبي زرع الفاسي:** الأنيس المطرب بروض القرطاس، ج١، ص٢٩،٣٠. **الجزنائي:** جني زهرة الآس، ص٤٥. **عبد الهادي التازي:** جامع القرويين، م١، ص٤٦. **فاطمة نافع:** أبعاد شخصية السيدة فاطمة الفهرية أم البنين، ص١٠١،١٠٢.

٣- اهتمام محمد بن عبد الله الفهري بتعليم بناته: وقد وعى محمد بن عبد الله الفهري مدى أهمية العلم وقيمة العلماء خاصة أنه عاش في القرنين الثاني والثالث الهجريين([١])، ذلك الزمن الذي صارت القيروان فيه كعبة العلم وقبلة العلماء للأقطار المغربية كافة يؤمها الطلاب من أطراف الأندلس والسودان والسوس **الأقصى**([٢])، كما أنه يعد من أكابر علماء الفقه بالقيروان([٣])؛ لذلك صمم محمد بن عبد الله الفهري على تعليم بناته كما سيتضح بعد ذلك.

ونتيجة لامتلاك محمد بن عبد الله الفهري ثروة واسعة، بجانب نبوغه العلمي([٤]) فقد ساعده هذا على تعليم بناته وتنشئتهم نشأة علمية منذ الصغر، ولعل الجو التعليمي الذي كان سائدًا في القيروان لم يفرق بين الرجل والمرأة في طلب العلم، حيث كانت الحلقات العلمية المختصة بتعليم النساء منتشرة بأرجاء القيروان خاصة مسجد القيروان الذي درست فيه

([١]) لم تتحدث المصادر عن تاريخ معين لولادة محمد بن عبد الله الفهري ووفاته، ولكن تحدثت عن هجرته من القيروان إلى فاس في عهد الأمير يحيى بن محمد بن إدريس الذي حكم ما بين أعوام (٢٣٤-٢٤٩هـ/٨٤٨-٨٦٣م)، كما أنه أدركه أجله بعد وصوله لفاس بوقت قصير. **الجزنائي:** جني زهرة الآس، ص٤٥، ٤٦. **عبد الهادي التازي:** جامع القرويين، م١، ص٤٦.

([٢])**الدباغ:** معالم الإيمان، رقم الترجمة٥٩، ج١، ص١٩٠. **حسن حسني عبد الوهاب:** بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق، ص٥٦. **محمد زيتون:** القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، ص١٩٠. **الطاهر بن محمد المعموري:** جامع الزيتونة ومدارس العلم في العهدين الحفصي والتركي، ص٢١، ٢٢، ٣٦.

([٣])**ابن القاضي المكناسي:** جذوة الاقتباس في ذكر من حل من العلماء بمدينة فاس، ص٢١٣.

([٤])**ابن أبي زرع:** الأنيس المطرب، ص٣٠. **ابن القاضي** : جذوة الاقتباس، رقم الترجمة ١٧٧، ص٢١٣.

خديجة بنت سحنون وهي معاصرة لفاطمة ومريم الفهريتين، كما كان للنساء في الفترة محل الدراسة حظ وافر في تلقي العلوم ودراسة مختلف أنواع المعارف، وبالتأكيد استفادت فاطمة ومريم من الجو التعليمي السائد بالقيروان فحفظتا القرآن الكريم وتعلمتا بعض مبادئ النحو واللغة العربية كصبيان وفتيات عصرهما([1])، يؤكد ذلك ما قاله عمر رضا كحالة([2]) عن السيدة فاطمة الفهرية بأنها:" ذات دين وصلاح" وقد جنى محمد بن عبد الله ثمرة جهده بعد وفاته ببناء بنتيه لمسجدين أصبحا من أعظم المساجد كما سيتضح بعد ذلك([3]).

٤- **الخلفية العائلية الثرية:** نشأت الأختان في أسرة ثرية ماديًا وعلميًا، وامتلك والدهما نشاط اقتصادي كبير، وبالتالي جلب عليه هذا النشاط الاقتصادي مالًا كثيرًا، هذا المال لم يكن غاية في حد ذاته، بل كان وسيلة استخدمتها الأختان في خدمة مجتمعهما بفاس، ببناء مسجدين استمر دورهما العلمي عبر العصور المتعاقبة كما سيتضح في الصفحات القليلة القادمة([4]).

([1])**ابن سحنون:** آداب المعلمين،ص٦١. **حسن حسني عبد الوهاب:** بساط العقيق في حضارة القيروان، ص٥٨،٥٩.

([2])أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ص١٣٦.

([3])**ابن أبي زرع:** الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص٣٠. **الجزنائي:** جني زهرة الآس، ص٤٥. **حسن حسني عبد الوهاب:** شهيرات التونسيات، ص٢٢-٢٤. بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق، ص٥٩. **الحسن السائح:** الحضارة الإسلامية في المغرب، ط٢، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص١٢٤. **محمد خير يوسف:** فقيهات عالمات، ص١٨.

([4])**ابن أبي زرع:** الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص٣٠. **الجزنائي:** جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص٤٦. **عبد الهادي التازي:** جامع القرويين، م١، ص٤٦.

٥- **الهجرة من القيروان إلى فاس:** شكلت الهجرة من القيروان إلى فاس نقطة تحول محورية في حياة الأختين فاطمة ومريم، حيث كانت فاس البيئة المناسبة التي اتخذت فيها الأختين القرار ببناء مسجدي القرويين والأندلس.

- **سبب هجرة أسرة عبد الله الفهري من القيروان إلى فاس:** لم تكن الهجرة مباشرة من القيروان إلى فاس بل كانت وليلي([1]) محطة هامة على طريق الهجرة من القيروان إلى فاس، وشهدت الفترة الزمنية التي هاجر فيها القيروانيون إلى وليلي ومنها إلى فاس سيطرة الأغالبة على مقاليد الحكم في القيروان، سبق ذلك فترة اضطرابات سياسية وثورات بالقيروان([2])، مما دفع

([1])**مدينة وليلي:** هي مدينة بالمغرب الأقصى قرب مدينة طنجة أسسها الرومان قبل الميلاد، وقد فقدت أهميتها بعد بناء مدينة فاس، تبعد عن مكناس حوالي ٢٨كم شمالًا، وهي كثيرة الغرس والزيتون . **ياقوت الحموي:** معجم البلدان، ج٥، ص٣٨٤. **ابن خلدون** : تاريخ ابن خلدون، ج ٦، ص ١٩٤.

([2])من هذه الثورات خروج تمام بن تميم التميمي في شهر رمضان عام ١٨٣هـ/٧٩٩م ثائرًا على محمد بن مقاتل العكي في جيش كبير، والتقوا قرب القيروان، وتمكن تمام من هزيمة العكي الذي هرب إلى القيروان، فزحف إليه تميم ودخل القيروان واستولى عليها، ثم أعطاه تمام الأمان على دمه وأهله وماله مقابل ترك ولاية إفريقية فوافق العكي وذهب إلى بغداد، ويعد محمد بن مقاتل العكي هو آخر ولاة العباسيين على إفريقية، ومن ثم قام إبراهيم بن محمد الأغلب وجنوده وحارب تميم وانتصر عليه، وسيطر على القيروان، وكون دولة سيطرت على مقاليد الحكم في القيروان، وحكمها حتى سنة ١٩٦هـ/٨١٢م، كما شهد عصر ابنه ابو العباس عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب (١٩٦- ٢٠١هـ/٨١٢-٨١٧م) الشدة مع الرعية، ووصف بأنه جماعًا للمال من الناس بغير وجه حق. **ابن خياط:** تاريخ خليفة بن خياط، ص٤٦٤.**اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب(ت٢٩٢هـ/٩٠٥م):** تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ج٢، ص٤١١. **ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد(ت٦٦٠هـ/١٢٦٢م):** بغية الطلب في تاريخ حلب ، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، ج ٩، ص ٣٩٠٨. **ابن عذاري:** البيان المغرب، ج١، ص٨٩-٩٢.

أهالي القيروان بشكل عام إلى الهجرة إلى دولة الأدارسة التي ظهرت بالمغرب الأقصى سنة ١٧٢هـ/٧٨٩(١).

وكانت الهجرة الأولى من القيروان إلى وليلي سنة ١٨٩هـ/ ٨٠٥م، وفي ذلك يقول ابن أبي زرع(٢): "وفي سنة تسع وثمانين ومائة وفدت على إدريس(٣) وفود العرب من بلاد افريقية وبلاد الأندلس في نحو الخمس مائة ... وغيرهم فسُرَّ إدريس بوفادتهم وأجزل صِلاتِهم وقربهم ورفع منازلهم وجعلهم بطانته دون البربر". وذكر الناصري(٤) أن العرب الوافدين من القيروان إلى فاس كانوا ثلاثمائة بيت.

وكانت الظروف مواتية للقيروانيين العرب ليس فقط بالاندماج في المجتمع الجديد بل للقيادة السياسية والعلمية؛ ويرجع ذلك لإدريس الثاني الذي وجد في العرب ضالته التي يبحث عنها وذلك بسبب أن العنصر العربي كان مفقودًا في التركيبة السكانية لمدينة وليلي، وكان إدريس على

---

(١)**ابن خلدون:** تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص١٧.

(٢)الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص١٣. وذكر هذا أيضًا **ابن خلدون:** تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص١٨. **الناصري** : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج١، ص٢١٩.

(٣)يقصد بإدريس هنا هو إدريس الثاني لأنه كان هناك إدريس الأول وابنه إدريس الثاني وهذا هو الذي حدثت في عهده الهجرة من القيروان إلى فاس ويعرف إدريس الثاني بإدريس الأزهر. **ابن عذاري:** البيان المغرب، ج١، ص٢١٠. **ابن أبي زرع:** الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص١٠-١٢.

(٤)الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج١، ص٣٢٣. ويمكن الجمع بين الرأيين بأنهم المهاجرين من القيروان إلى وليلي كانوا خمسمائة بيت، وأن الذين نقلوا من وليلي إلى فاس كانوا ثلاثمائة بيت فقط.

حد وصف ابن أبي زرع([1]) "فريدًا بين البربر"؛ لذلك شجع أهل القيروان على على تولي المناصب السياسية والعلمية في المجتمع الجديد كما كانوا لإدريس بطانة وحاشية استقوى بهم سلطانه([2])؛ ولعل هذا ما سيشجع محمد بن عبد الله الفهري على الهجرة ببناته في وقت لاحق.

وكان هذا يحدث بالتوازي مع الاضطرابات السياسية التي شهدتها القيروان لذلك كانت هجرة بعض القبائل العربية من القيروان إلى وليلى ومنها إلى فاس من أنجح الهجرات، ويؤكد الحبيب الجنجاني([3]) أن: "السبب الرئيس لهذا الانتقال كان سياسيًا ناجمًا عن سخط القيروانيين ومعارضتهم لممارسات حكم الأغالبة... ولكن ذلك لا يمنع من انتقال بعض الأسر قصد التجارة، أو إنشاء صناعة يدوية في المدينة الجديدة".

لم يهاجر محمد بن عبد الله الفهري مع بناته من القيروان إلى وليلى، ولكن قرر بعض أفراد أسرته اللحاق بركاب المهاجرين وعلى ما يبدو أنهم قد سئموا من بعض أمراء وعمال الأغالبة الذين كانوا قد أرهقوا أهل القيروان بالضرائب وأخذ المال منهم دون وجه حق([4]) خاصةَ أنه كان للأسرة نشاط اقتصادي يدل على ذلك ثروة محمد بن عبد الله الفهري وزوج السيدة فاطمة وهو ما عبر عنه ابن أبي زرع([5]) بقوله:"... فورثت منهم مالًا جسيمًا"

([1])الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص١٣.

([2])**ابن أبي زرع:** الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص١٨،١٣. **ابن خلدون:** تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص٢٠.

([3])القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الإسلامية، ص١١١.

([4])**ابن خياط:** تاريخ خليفة بن خياط، ص٤٦٤.**ابن الأثير:** الكامل في التاريخ، ج٥، ص٣١٢. **ابن العديم:** بغية الطلب في تاريخ حلب، ج٩، ص٣٩٠٨. **الجزنائي:** جني زهرة الآس، ص٤٥.

([5]) الأنيس المطرب بروض القرطاس ، ص٣٠.

والجزنائي([1]) بقوله: "وتحصل لهما بالميراث مال كثير طيب"، ومعلوم أن النشاط الاقتصادي بحاجة إلى استقرار سياسي وهو ما لم يتوفر في القيروان في هذا الوقت لذلك فضلت الأسرة الهجرة([2])، وصادف قرار هجرة الأسرة قرارًا من إدريس الثاني(١٨٤-٢٠٤هـ/٧٩١-٨٢٩م) ببناء مدينة جديدة بعد أن ضاقت وليلي عن استيعاب السكان الأصليين والمهاجرين، وشعر الأمير بحاجته الماسة إلى بناء مدينة أكبر لاستيعاب هذه الزيادة المطردة من المهاجرين، وسميت بعدوة القرويين- نظرًا لنزول أهل القيروان بها- ونسب جامع القرويين إليها([3]).

فيما عرفت العدوة الأخرى بعدوة الأندلسيين([4]) نسبة إلى جالية أندلسية وفدت على المغرب سنة ٢٠٢هـ/٨١٧م وهي التي شهدت بناء جامع الأندلس([1]).

([1])جني زهرة الآس، ص٤٥.

([2])**ابن أبي زرع:** الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص٣٠.**الجزنائي:** جني زهرة الآس، ص٤٥. **فاطمة نافع:** أبعاد شخصية السيدة فاطمة الفهرية أم البنين، ص١٠٢.

([3])**ياقوت الحموي:** معجم البلدان،ج٤، ص٢٣٠. **ابن عذاري:** البيان المغرب،ج١،ص٢١١،٢٣٦. **الجزنائي:** جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص١٨.

([4])قام أهل مدينة قرطبة خاصّة سكان حي الربض الجنوبي سنة ٢٠٢هـ/٨١٧م بثورة عظيمة ضد الحكم بن هشام الأموي ثالث أمراء الدولة الأموية بالأندلس نتيجة زيادة الضرائب، وقتل الحكم لعشرة من أكابر المدينة وصلبهم، استعمل الحكم الشدة والعنف للقضاء على الثورة، وأمر بصلب ثلاثمائة من الثوار، ولم يكتف بذلك بل إنه أمر بهدم الربض الجنوبي بأكمله وتشريد أهله خارج قرطبة، حيث تفرقوا بين المدن الأندلسية، وهاجر بعضهم إلى الإسكندرية والمغرب. **ابن عبد ربه، أحمد بن محمد(ت٣٢٨هـ/٩٤٠م):** العقد الفريد، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان،١٩٩٩م،ج٤، ص٤٥٢. **ابن الأثير:** الكامل في التاريخ، ج٥، ص٤١٣. **القضاعي:** الحلة السيراء، ج١، ص٤٤. **ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي بن**

وكما كانت هجرة القيراونيين من القيروان إلى وليلي عائلية فإن هجرتهم من وليلي إلى فاس عائلية أيضًا، ويؤكد هذا ابن أبي زرع([٢]) فقال: "فأتى وفد القيروان إلى إدريس رضي الله عنه في جمع كثير بعيالهم وأولادهم فأنزلهم حوله بعدوة القرويين".

ومما تفيده هذه النصوص التي وردت في هجرة أهل القيروان إلى فاس أنها كانت هجرة أسرية أي أنها كانت بهدف الاستقرار النهائي بدليل انتقال أهل القيروان بصحبة عائلاتهم وأموالهم، وتلك كانت الهجرة الثانية من القيروان إلى فاس([٣]).

موسى بن سعيد المغربي(ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م): المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٥م، ج١، ص٤٢. **ابن خلدون:** تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص١٦١.

([١])**القزويني، زكرياء بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م):** آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م، ص١٠٢. **ابن عذاري:** البيان المغرب، ج١، ص٢٣٦. **ابن أبي زرع:** الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص١٣، ١٤. **القلقشندي:** صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج٥،ص١٤٨، ١٤٩.**الحميري، محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت٨٦٦هـ/١٤٦٢م):**صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط٢، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٤٣٤.

([٢])الأنيس المطرب، ص٣٠.

([٣])كانت الهجرة الأولى من القيروان إلى وليلي في عهد إدريس الثاني، وكانت الأعداد كبيرة فقد وفد عليه من أفريقية فقط خمس مئة فارس، لذلك ضاقت مدينة وليلي عن استيعاب السكان الأصليين والمهاجرين، وشعر الأمير بحاجته الماسة إلى بناء مدينة أكبر مساحة لاستيعاب هذه الزيادة المطردة من المهاجرين، ومن هنا فكر إدريس الثاني في بناء عاصمة جديدة، واختط مدينة فاس الثانية التي عرفت فيما بعد بعدوة القرويين نسبًة إلى نزول العرب من القيروان فيها. **ابن عذاري:** البيان

- اختلاف المصادر في تسجيل محمد بن عبد الله الفهري في الهجرة الثانية من القيروان لفاس:

مما يجدر ذكره أن هناك اتفاقًا في تسجيل فاطمة ومريم بنات محمد بن عبد الله الفهري في هذه الهجرة الثانية من القيروان إلى فاس، ولكن يوجد اختلاف في هجرة والدهم هل كان معهم أم لا؟([1])، حيث ذكر ابن أبي زرع ونقل عنه الناصري([2]) ما نصه: "أتى أهل وفد القرويين إلى إدريس في جمع كثير بعيالاتهم وأولادهم فأنزلهم حوله بعدوة القرويين، وكانت فيهم امرأة مباركة صالحة اسمها فاطمة وتكنى أم البنين بنت محمد الفهري القيرواني أتت من أفريقية مع أختها وزوجها فسكنوا بالقرب من موضع الجامع المذكور"- ويقصد بالجامع المذكور- جامع القرويين الذي سيتم الحديث عنه فيما بعد.

ومن الملاحظ أن ابن أبي زرع ذكر بأن فاطمة وزوجها وأختها مريم هاجروا في عهد إدريس الثاني الذي حكم ما بين أعوام(١٨٤-٢٠٤هـ/٧٩١-٨٢٨م) في حين لم يذكر شيء عن والدهم وهل هاجر معهم

المغرب،ج١،ص٢١١،٢٣٦. **الجزنائي:** جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص١٨. **القلقشندي:** صبح الأعشى، ج٥، ص١٤٨. **حسين مؤنس:** المساجد١٦٣،١٦٤.

([1])جمع **عبد الهادي التازي** بين الآراء فقال: " إنه قد صدر ابن أبي زرع برواية تذكر أن فاطمة وردت مع زوجها من أفريقية، فتوفى زوجها وأختها ولما ورثت عنهما بنت جامع القرويين، ويلاحظ من جهة أخرى أن ابن أبي زرع يذكر أن ورود الأسرة من القيروان كان أيام المولى إدريس على حين يجعلها الجزنائي أيام الأمير يحيى، ولهذا نرى بعضهم يجمع بين الروايتين بأن أول ورود الأسرة كان أيام الأمير إدريس في حين يجعلها الباقي أيام الحفيد" . جامع القرويين" المسجد والجامعة بمدينة فاس"، م١، ص٥٢.

([2])الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص٢٨،٢٩. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج١، ص٢٣١.

أم لا([1])، ولعل ما ذكره الجزنائي يفسر ما سكت عنه ابن أبي زرع حيث جزم الجزنائي بهجرة محمد بن عبد الله الفهري في عهد الأمير يحيى بن إدريس([2]) (٢٣٤-٢٥٠هـ/٨٤٨-٨٦٤م) مع بعض أهل بلده([3])، ولم تذكر المصادر سبب عدم مرافقة محمد بن عبد الله الفهري لبناته في الهجرة من القيروان إلى فاس في عهد الأمير إدريس الثاني، وقد عاشت السيدة فاطمة وأختها مريم وعائلاتهما حياة راغدة هادئة بفاس؛ ويرجع ذلك لمعاملة ملوك دولة الأدارسة الحسنة للقيروانيين الذين هاجروا من القيروان([4]).

هذه المعاملة الحسنة جعلت السيدتين فاطمة ومريم تفكران في بناء صرح علمي وديني يخدم المدينة التي استضافتهما بين جنباتهما فكان مسجدي القرويين والأندلس، ولم يتسنَ للسيدة فاطمة ومريم الحصول على الأموال اللازمة لبناء المسجد إلا بعد هجرة والدهما من القيروان والتئام شمل الأسرة من جديد بفاس.

ويبدو أن الأحوال السياسية غير المستقرة بالقيروان كانت السبب الرئيس وراء ترك محمد بن عبد الله الفهري القيروان خاصةً أنه هاجر في عهد محمد بن إبراهيم بن الأغلب الذي حكم ما بين(٢٢٦-٢٤٢هـ/٨٤١-

---

([1]) الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص٣٠.

([2]) **يحيى بن إدريس:** هو الأمير يحيى بن محمد بن إدريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ، هو خامس حكام الأدارسة، تولى بعد وفاة أخيه علي سنة ٢٣٤هـ/٨٤٨م، وبعهده إليه في حياته، فسار بسيرة أخيه وأبيه وجده، وتوفي سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤ م. **الجزنائي:** جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص٤٥.

([3])جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص٤٥.

([4])**ابن أبي زرع:** الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص ١٣، ٣٠.**الجزنائي:** جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص٢٦. **حسن عبد الوهاب:** شهيرات التونسيات، ص٢٠، ٢١.

٨٥٦م) وشهد عهده حالة من عدم الاستقرار([1])، ومن المعروف عن محمد الفهري أنه كان له نشاط اقتصادي يقتضي الاستقرار السياسي بجانب هجرة بناته في وقت سابق؛ لذلك لم يطب له المقام بالقيروان هذا من جهة، ومن جهة أخرى اشتهرت فاس في عهد الأمير يحيى بالنشاط التجاري بدليل بناء الأمير بناء الأرباض([2]) خارج فاس، كما أمر ببناء الفنادق والحمامات للتجار([3])، كما شهدت فاس في عهد الأمير يحيى موجة هجرة جديدة من القيروان([4]) لذلك فضل محمد بن عبد الله الفهري اللحاق بركب المهاجرين، واستقر بفاس وبالتحديد عدوة القرويين([5]).

([1])**ابن الأثير:** الكامل في التاريخ، ج٦، ص٦٦، ١٢٦. **النويري:** نهاية الأرب، ج٢٤، ص٦٣-٦٦. **ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر(ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م):** تاريخ ابن الوردي، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت،١٤١٧هـ/١٩٩٦م،ج١، ص٢١٨.**ابن خلدون:** تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص٢٥٦.

([2])**الأرباض:** هو ما حول المدينة أو القصر من مساكن ومحلات . **الطالقاني، أبو القاسم إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس(ت٣٨٥هـ/٩٩٥م):** المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، ط١،عالم الكتب، بيروت، لبنان ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م،ج ٨، ص١٤.

([3])**ابن أبي زرع:** الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص٢٩. **الجزنائي:** جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص٤٥. **ابن خلدون:** تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص٢٠. **الناصري:** الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج١، ص٢٣١.

([4])**ابن أبي زرع:** الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص٢٩. **ابن خلدون:** تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص٢٠. **الناصري:** الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج١، ص٢٣١. **حسن حسني عبد الوهاب:** شهيرات التونسيات، ص٢١. **حسين مؤنس:** المساجد، ص١٦٤. **سيد أمير علي:** مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، ترجمة رياض رأفت، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٨م، ص٤٨٨.

([5])**الجزنائي:** جني زهرة الآس، ص٤٥. **حسين مؤنس:** المساجد، ص١٦٤.

- الأنشطة الاقتصادية التي مارستها أسرة فاطمة ومريم بنت محمد الفهري بفاس: تجمعت أسرة محمد بن عبد الله الفهري مرة أخرى بعد هجرته إلى فاس، ومن المعلوم أنه كان لمحمد الفهري نشاط اقتصادي كبير بالقيروان([1]).

ولم تجزم المصادر بنوعية النشاط الاقتصادي الذي مارسه محمد بن عبد الله الفهري، وإن كانت قد اتفقت على أنه نشاط اقتصادي كبير، درّ عليه أرباحًا هائلة، وهذا المال كان من الحلال الطيب([2])، ومن الواجب ذكره أن فاس في عهد الأمير يحيى اشتهرت بالنشاط التجاري، ووردت بعض الإشارات عند أبي زرع التي توحي بنوعية النشاط الاقتصادي الذي مارسته أسرة الفهري، واعتمدت عليه السيدتان فاطمة ومريم في توفير المال اللازم لبناء المسجدين إذ يقول([3]): "... وأهل عدوة القرويين أهل رفاعة ونخوة في البناء واللباس والفرش والمطعم والمشرب، وأكثرهم صناع وتجار وسوقة".

ويتضح من النص السابق الأنشطة الاقتصادية التي عمل بها القيروانيون بشكل عام في فاس وهي الصناعة والتجارة، كما ورد نص آخر عنه في أسرة فاطمة ومريم الفهريتين قد يبين ماهية النشاط الاقتصادي لأسرة الفهري إذ قال عن السيدة فاطمة الفهرية: "فتوفى زوجها وأختها فورثت منهم مالًا جسيمًا حلالًا طيبًا ليس فيه شبهة لم يتغير ببيع ولا شراء"([4]).

([1])**ابن أبي زرع:** الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص٣٠. **الجزنائي:** جني زهرة الآس، ص٤٥.

([2])**الجزنائي:** جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص٤٥. **ابن خلدون:** تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص٢٠.

([3])الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص٢٣.

([4])الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص٣٠.

يستنتج مما أورده ابن أبي زرع أن أهل عدوة القرويين اشتهروا بالنشاط الصناعي والتجاري بشكل عام، ويبدو أن محمد الفهري وزوج السيدة فاطمة الفهرية اشتغلا بالتجارة إذ قال ابن أبي زرع بأن هذا المال لم يتغير بعمليات بيع ولا شراء، ومن المعلوم أن التجارة عبارة عن عمليات بيع وشراء . يؤكد هذا الكلام ما قاله ابن القاضي([1]) من أن إدريس لما سكن فاس" أتتها التجارات وأهل الصناعات من كل صقع حتى تكامل بها كل متجر، وسيقت إليها خيرات الأرض، وجمعت بها طرف الدنيا وتكاملت بها" ، يضاف إلى ذلك ما عرف عن قبيلة هوارة التي ينتمي إليها محمد بن عبد الله الفهري([2]) من اشتغالها بالتجارة إذ وصفهم الإدريسي بأنهم تجار مياسير يدخلون إلى بلاد السودان بأعداد الجمال الحاملة لقناطير الأموال من النحاس الأحمر والعطر وثياب الصوف والعمائم وغيرها([3]).

وهذا يعطي انطباعًا عن وجود سعةٍ وثراءً في العيش لدى أهل القيروان المستقرين بفاس، الأمر الذي يؤكده مستوى الثراء والغنى والأموال التي امتلكتها العائلة الفهرية المستقرة بفاس([4]).

([1])جذوة الاقتباس، ص٤٨.

([2])**ابن خلدون:** تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص٢٠.

([3])نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ج١، ص٢٣٢،٣١١.

([4])**ابن أبي زرع:** الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص٣٠. **الجزنائي:** جني زهرة الآس، ص٤٥. **الناصري:** الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج١، ص٢٣١. **محمد المنتصر بالله الكتاني:** فاس عاصمة الأدارسة، ص٣٩. **فاطمة نافع:** أبعاد شخصية السيدة فاطمة الفهرية أم البنين، ص١٠٢.

المبحث الثاني

مسجدي القرويين والأندلس

توفى محمد بن عبد الله الفهري بعد وقت قصير من هجرته من القيروان إلى فاس([1])، وكانت وفاته سببًا مباشرًا في بناء مسجدي القرويين والأندلس حيث ترك ثروة ضخمة([2])، وما لبث أن لحق به بنوه وتركوا لفاطمة ومريم ثراءً عريضًا ومالًا طائلًا ، فرصدتاه لوجوه البر والإحسان والخير([3])، كما توفى زوج السيدة فاطمة الفهرية وورثته وتحصلت على المال الكثير([4])، ولم تكن السيدة فاطمة وأختها ممن تستهوين مظاهر الحياة

([1]) حدد **حسين مؤنس** وفاة محمد بن عبد الله الفهري سنة ٢٤٥هـ/٨٥٩م أو ما يقارب منها، مستندًا إلى عثوره على نقش مكتوب يدل على أن أعمال تجديد مسجد الأشراف بدأت سنة ٢٤٣هـ/٨٥٧م تلبية لرغبة محمد بن عبد الله الفهري الذي أراد تجديد المسجد، وبعد وفاته أكملت السيدة فاطمة رغبة والدها ببناء المسجد سنة ٢٤٥هـ/٨٥٩م. المساجد، ص١٦٥.

([2])**ابن أبي زرع:** الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص٣٠. **الجزنائي:** جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص٤٥. **ابن خلدون:** تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص٢٠. **عبد الهادي التازي:** جامع القرويين" المسجد والجامعة بمدينة فاس"، م١، ص ٤٦. **حسين مؤنس:** المساجد، ص١٦٤.

([3]) **محمد المنتصر بالله الكتاني:** فاس عاصمة الأدارسة، دار إدريس، ١٩٧٢م، ص٣٩. **عمر رضا كحالة:** اعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ج٤، ص١٣٧.

([4]) ذكر **ابن أبي زرع** بأن السيدة فاطمة ومريم تحصلتا على الأموال اللازمة لبناء المسجد نتيجة مال ورثته من أبيهما وإخوتهما إذ قال:" بنت فاطمة جامع القرويين وبنت مريم جامع الأندلس من مال حلال طيب موروث عن أبيهما واخوتهما". الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص٣٠. وأكد هذا الكلام **حسن حسني عبد الوهاب، ومحمد الكتاني،** فيما ذكر ابن أبي زرع بنفس الصفحة بأن السيدة فاطمة الفهرية ورثت السيدة مريم الفهرية إذ قال عن السيدة فاطمة الفهرية: "... أتت من إفريقية مع أختها وزوجها فسكنوا

الدنيا وزينتها، بل كان لديهن من الهمة والطموح ما يجعلهن نموذجًا لشخصية المرأة المغربية المسلمة في ذلك العصر، فأسست السيدة مريم بنت محمد الفهري مسجدًا بالأندلس في حين عملت السيدة فاطمة على تأسيس مسجد القرويين([1]).

لعبت البنية السياسية للمجتمع بدولة الأدارسة دور مهم وكبير في تكوين شخصية فاطمة ومريم الفهريتين، حيث شكل النظام السياسي المستقر بدولة الأدارسة عاملًا حاسمًا في تطور الدولة تعليميًا وعمرانيًا، وقد عاصرت السيدتان العصر الذهبي لدولة الأدارسة خاصة فترة حكم إدريس الثاني(١٨٤-٢٠٤هـ/٧٩١-٨٢٩م)([2]) ويحيى الأول بن محمد بن

بالقرب من موضع الجامع المذكور فتوفى زوجها وأختها فورثت منهم مالًا جسيمًا حلالًا طيبًا" الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص٣٠. شهيرات التونسيات، ص٢١. فاس عاصمة الأدارسة، ص٣٩.

وعلى ذلك يكون المال الذي تحصلت عليه السيدة فاطمة الفهرية لبناء جامع القرويين من أبيها وإخوتها ومنهم السيدة مريم الفهرية وزوجها وهو ما يفسر البناء الرائع والطراز الفريد والجهد المبذول لبناء جامع القرويين، فيما تحصلت السيدة مريم الفهرية على الأموال اللازمة لبناء المسجد من أبيها وإخوتها.

([1])**ابن أبي زرع:**الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص٢٩. **الجزنائي:** جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص١٨،٤٥. **الناصري:** الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج١، ص٢٣١. **عبد الهادي التازي:** جامع القرويين، م١، ص ٤٦.

([2])استطاع إدريس الثاني أن يؤسس دولة مستقلة وقوية ومترامية الأطراف، ممتدة من تلمسان إلى حدود وادي شلف بالمغرب الأسط. **ابن خلدون:** تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص١٨. **مهدي الإدريسي سليطين:** جامع القرويين وإشكالية التأسيس بين داود بن إدريس وفاطمة الفهرية "مقاربة تاريخية على ضوء السرديات التاريخية والمعطيات الأثرية، كلية الحكامة والعلوم الاقتصادية والاجتماعية، جامعة محمد السادس متعددة التخصصات التقنية، معهد الدراسات السياسية بباريس، نوفمبر، ٢٠٢٤م، ص١٤.

إدريس(٢٣٤-٢٥٠هـ/٨٤٨-٨٦٤م)، وقد بنى إدريس الثاني مدينة فاس، فيما شهدت مدينة فاس في عصر الأمير يحيى الأول نهضة عمرانية هائلة([1]).

وقد رأت فاطمة ومريم بنات محمد الفهري ضرورة المشاركة في النهضة العمرانية التي كانت تشهدها فاس في القرن الثالث الهجري، وفي الوقت نفسه يعود بالأجر والثواب على والدهما وزوج السيدة فاطمة اللذين توفيا في وقت متقارب وتكسبا الثواب، وكانت بنات محمد الفهري تترقب الفرصة لرد الجميل لوالدهما ومن قبله المدينة التي استضافتهم بين جنباتها، وعلمتا باحتياج الناس إلى جامع كبير بعدوتي فاس لضيق الجامعين القديمين بالناس([2]). ويعلق ابن أبي زرع([3]) على نية السيدة فاطمة بقوله: "فورثت منهم مالًا جسيمًا حلالًا طيبًا ليس فيه شبهة لم يتغير ببيع ولا شراء فأرادت أن تصرفه في وجوه البر وأعمال الخير، فعزمت على بناء مسجد تجد ثوابه في الآخرة يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرًا". وصدقت السيدة فاطمة نيتها الطيبة الخالصة لله عز وجل فصدقها الله بمسجدها الذي ما زال موجودًا إلى وقتنا الحاضر يؤدي دوره التعليمي والديني.

([1])**ابن أبي زرع:** الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص٢٩. **الجزنائي:** جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص٤٥. **الناصري:** الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج١، ص٢٣١.

([2])الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص٣٠. **الجزنائي:** جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص٤٥. **ابن القاضي:** جذوة الاقتباس، ص٥٢.

([3])الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص٣٠.

- شراء السيدة فاطمة الفهرية الأرض لبناء المسجد:

أرادت السيدة فاطمة الفهرية بعملها هذا أن تقدم لمجتمع فاس مسجدًا فخمًا يجتمع فيه الناس لأداء الصلوات الخمس، كما رغبت في أن يكون مركزًا للتعليم يلتقي فيه طلبة العلم مع معلميهم لتلقي العلم، وهذا ما تحقق كما سيتضح([1]).

يقول ابن أبي زرع عن بناء مسجد القرويين([2]): "... فاشترت موضع القرويين ممن كان حازه ودفعت إليه المال ثم شرعت في حفر أساسه وبنائه وذلك يوم السبت مستهل رمضان سنة خمس وأربعين ومائتين"، ويستنتج من حديث ابن أبي زرع أن السيدة فاطمة الفهرية شرعت ببناء المسجد سنة ٢٤٥هـ/٨٥٩م بدليل قوله "فاشترت موضع القرويين ممن كان حازه".

وأكد على ذلك ابن خلدون([3]) حين قال: "فاختطت المسجد الجامع بعدوة القرويين أصغر ما كان سنة خمس وأربعين في أرض بيضاء كان أقطعها الإمام إدريس وأنبطت بصحنها بئرا شرابًا للناس".

وقال ابن القاضي: "كان بموضعه الذي بني فيه أرض لعمل الخضر، وفيه أشجار لرجل من هوارة كان قد حاز ذلك أبوه بوجه جائز صحيح حين

([1])**ابن خلدون:** تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص٢٠. **حسين مؤنس:** المساجد، ص١٦٦. **عبد الهادي التازي:** جامع القرويين، ص٤٦.

([2])الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص٣٠.

([3])تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص٢٠. ونقلت بعض المراجع هذا حيث ذكر **حسن حسني عبد الوهاب:**" أنها اشترت أرضًا بيضاء قرب منزلها بالقرويين كان أقطعها الأمير إلى رجل من هوارة وشرعت في حفر أساس المسجد وبناء جدرانه بالطابية ". شهيرات التونسيات، ص٢١.

أسست المدينة حرسها الله تعالى بمنه، فاشترتها منه فاطمة المذكورة ودفعت ثمنها من مالها الحاصل لها بالميراث وتطوعت ببناء الجامع المذكور"([1]).

وذهب إلى هذا الناصري حيث ذكر بأن :"موضع مسجد القرويين أرضًا بيضاء لرجل من هوارة، كان والده قد حازها أيام بناء فاس، .... فاشترت البقعة من ربها، وشرعت في حفر أساس المسجد، وبناء جدرانه وذلك يوم السبت فاتح رمضان المعظم سنة خمس وأربعين ومائتين"([2])، ودفعت السيدة فاطمة الفهرية ستين أوقية([3]) لشراء الحقل([4]).

ويستنتج من حديث المصادر أن الموضع الذي اشترته السيدة فاطمة لبناء مسجد القرويين كانت أرضًا بيضاء زراعية وبها أشجار، امتلكها رجل من قبيلة هوارة، واشترتها منه السيدة فاطمة بستين أوقية من ميراثها.

فيما ذهبت بعض المراجع الحديثة إلى أن المسجد كان توسعة لجامع الشرفاء الذي بناه إدريس الثاني في عدوة القرويين في بداية إنشائها سنة ١٩٢هـ/٨٠٨م([5]).

كما ذهب حسين مؤنس إلى أن المسجد تم بناؤه سنة ٢٤٣هـ/٨٤٧م، وأن والد فاطمة هو صاحب الفكرة، ويدلل حسين مؤنس على ذلك بأنه تم

([1])جذوة الاقتباس، ص٥٢.

([2])**الناصري:** الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج١، ص٢٣١

([3])الأوقية تساوي درهمًا واحدًا . **عبد الهادي التازي:** جامع القرويين، م١، ص٥٢.

([4])**عبد الهادي التازي:** جامع القرويين، م١، ص٤٧.

([5])تصدر هذا الرأي أصحاب المراجع الحديثة وبالتحديد **حسين مؤنس** الذي قال:" فجامع القرويين هذا بدأ في أصله جامع صغيرًا يسمى جامع الشرفاء بناه إدريس الثاني في عدوة القرويين من فاس عند أول إنشائها..... واهتمت فاطمة بجامع القرويين ورأت أن تنفق مالها في تجديد بنائه وتوسعته". المساجد، ص١٦٤،١٦٥ .

العثور على نقش مكتوب يدل على أن أعمال تجديد البناء في الجامع بدأت سنة ٢٤٣هـ/٨٤٧ م([1]).

ونفى ابن خلدون فكرة أن يكون مسجد القرويين توسعة لجامع الأشراف وأكد أن مسجد القرويين تم إنشاؤه من العدم إذ قال عن جامع القرويين :"نقلت إليه الخطبة من جامع إدريس لضيق محله وجوار بيته"([2]).

ويستنتج من كلام ابن خلدون أن مسجد القرويين غير مسجد إدريس الذي عرف بجامع الأشراف بدليل شراء السيدة فاطمة الفهرية قطعة أرض لبناء المسجد، كما أنه بعد الانتهاء من بناء المسجد تم نقل الخطبة من جامع الأشراف لجامع القرويين بسبب ضيق مساحته.

ويمكن الجمع بين الآراء بأن محمد الفهري والد السيدة فاطمة بعد هجرته من القيروان إلى فاس أراد أن يشارك في النهضة العمرانية التي شهدتها فاس في عهد الأمير يحيى وبدأ بتجديد البناء بمسجد الأشراف، ولكن لم يسعفه القدر إذ توفي بعد ذلك بوقت قصير، وبعد وفاته صممت السيدة فاطمة الفهرية على استكمال ما بدأه والدها بخصوص جامع الأشراف، ولكنها رأت أنه قد ضاق بالمصلين خاصة مع التطور العمراني والزيادة السكانية التي شهدتها مدينة فاس في عهد الأمير يحيى، كما أنها كانت تريد أن تجعل هذا المسجد من أكبر مساجد العالم الإسلامي؛ فقررت توسعته لذا اشترت الحقل الذي كان يحيط بالمسجد من رجل ينتمي لقبيلة هوارة، وضمت أرضه إلى المسجد فضاعفت حجمه، وهدمت مسجد الأشراف وأعادت بناؤه من جديد، خاصَة وقد ورد عند حسين مؤنس ما يدل على ذلك :" أنفقت السيدة فاطمة الفهرية مالًا جسيمًا في توسيع الجامع

([1])المساجد، ص١٦٤،١٦٥.

([2])تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص٢٠.

وإعادة بنائه فتضاعف حجمه"([1]). وبعد بناء المسجد تم نقل الخطبة من موضع جامع إدريس إلى جامع القرويين.

المواد المستخدمة في بناء المسجد:

شرعت السيدة فاطمة الفهرية في حفر أساس المسجد يوم السبت بداية شهر رمضان المعظم سنة ٢٤٥هـ/٣٠ نوفمبر ٨٥٩م، وتم بناؤه بالطابية([2]) والكذان([3])، وكانت الطريقة التي سلكتها السيدة فاطمة في بناء المسجد أنها أمرت البنائين أن لا يأخذوا التراب وغيره من مواد البناء إلا من الحقل الذي اشترته حتى أنهم حفروا كهوفًا في أعماق الأرض لاستخراج الرمل الأصفر الجيد والجص([4]) والحجر لتبني به، تحريًا أن لا تدخل شبهة في بناء المسجد، كما كانت مياه البناء تجلب من بئر حفر في الأرض ذاتها، ، فجاء

([1])المساجد، ص ١٦٥.

([2])**الطابية:** هي لبنة تصنع من التراب المعجون وكانوا يستعملون أيديهم وأرجلهم لعجنها، وذلك بعد غربلة التراب جيدًا بغرابيل يدوية يرجها عاملان بينهما بالأيدي، ويسمى صانع الطابية بالطواب. **ابن خلدون:** مقدمة ابن خلدون، ط٥، دار القلم، بيروت، ص٤٠٨. **يوسف حمادي:**" التابية " طريقة تقليدية لبناء البيوت في المغرب جلبها السودانيون، جريدة عمان، ١٩ يونيو ٢٠١٩، ص١.

([3])**الكذان:** هو حجارة لينة ليست بصلبة وفيها رخاوة . **الفراهيدي، الخليل بن أحمد(ت١٧٥هـ/٧٩٢م):** كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي ، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال ، د. ت، ج ٥، ص ٢٧٦. **الطالقاني:** المحيط في اللغة، ج٦، ص١٣٧. **ابن منظور، محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/١٣١١م):** لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت، د. ت، ج٥، ص٣٨٤.

([4])**الجص:** هو مادة للطلاء، وهو الذي تبيض به المنازل، وقيل هو نوع من الحجارة. **ابن منظور:** لسان العرب،ج٧، ص١٠.

المسجد فسيح الأرجاء محكم البناء([1])، ذا رونق وبهاء على حد وصف حسن حسني عبد الوهاب([2]).

- وصف المسجد:

يصف الناصري([3]) الناحية المعمارية للمسجد بقوله: "وكانت مساحة المسجد يوم بُنِي أربعة بلاطاتٍ وصحنًا صغيرًا وجعلت محرابه في موضع الثريا الكبرى وجعلت طوله من الغرب إلى الشرق مائة وخمسين شبرًا وبنت به صومعةً غير مرتفعةٍ بموضع القبة التي على رأس العنزة"([4]).

([1])**ابن أبي زرع:** الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص٣٠. **الجزنائي:** جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص٤٦. **الناصري:** الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج١، ص٢٣١،٢٣٢.

([2])شهيرات التونسيات، ص٢٧.

([3])الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج١، ص٢٣٢.

([4])**العنزة:** هي عصا في قدر نصف الرمح أو أكثر شيئًا، فيها سنان مثل سنان الرمح، وقيل هي أطول من العصا وأُقصر من الرمح، والعكازة قريب منها، وكان للرسول ﷺ خمسة أرماح منهم واحدة صغيرة شبه العكاز يقال لها العنزة يمشى بها بين يديه في الأعياد تركز أمامه فيتخذها سترة يصلي إليها وكان يمشي بها أحيانًا. **ابن منظور:** لسان العرب، ج٥، ص٣٨٤. **ابن قيم الجوزيه، محمد بن أبي بكر أيوب(ت٧٥١هـ/١٣٥٠م):** زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، ط١٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ج١، ص١٣١.

وكان للعنزة دورًا مهمًا في تحديد اتجاه القبلة إذ جاء في صحيح البخاري :" كان النبي ﷺ يغدو إلى المصلي والعنزة بين يديه تحمل وتنصب بالمصلي بين يديه فيصلى إليها". **البخاري، محمد بن اسماعيل(ت٢٥٦هـ/٨٦٩م)**، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط٣، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، كتاب العيدين، باب حمل العنزة أو الحربة بين يدي الإمام يوم العيد، حديث رقم ٩٣٠، ج١، ص٣٣٠.

ويراد بالعنزة في المغرب العربي ذلك الحاجز الخشبي الذي يحمي حرم المصلى في صحن الجامع وكان يصلى إليها في فصل الصيف، وجاء عند ابن أبي زرع في عنزة

وقال الجزنائي عن الشكل النهائي للمسجد الذي بنته السيدة فاطمة: "إنه نصبت قبلته على نحو قبلة جامع الشرفاء الذي أسسه الإمام إدريس بن إدريس رضي الله عنه بعد مشورة أهل العلم واجتهادهم في ذلك، وبني من أربعة بلاطات من قبلة إلى جوف، في كل بلاط اثنا عشر قوسًا من شرق إلى غرب، وجعل محرابه بمقدم البلاط الذي أمام الثريا الكبرى الآن"([1]).

ويعطي عبد الهادي التازي وصفًا دقيقًا لمسجد القرويين إذ قال: "كان تصميم القرويين مربعًا على نحو ما عرف في معظم المساجد، إلا أن تربيعه لم يكن تامًا فإن عرضه أكبر من طوله، وبلغ طوله مائة وخمسين شبرًا، لقد كان يتألف من أربع بلاطات أفقية تمتد من الشرق موازية لجدار القبلة، ومن اثنتي عشرة بلاطة تنزل من الجنوب إلى الشمال، خمس غربي البلاط الأوسط الممتد من المحراب للصحن، وست شرقي البلاط المذكور، وعند نهاية قاعة الصلاة كان يوجد الصحن"([2]).

فيما ذهب حسين مؤنس إلى إنفاق السيدة فاطمة الفهرية مالًا جسيمًا في إعادة بناء مسجد الأشراف وتوسعته، فتضاعف حجمه وزاد بيت صلاته عمقًا بما أضيف إليه من الأساكيب([3]) الجديدة، ووسع الصحن أيضًا وأعيد بناء المجنبات، وأنشئ للجامع محراب ومنبر جديدان، وبنيت

جامع القرويين:" وأما الفترة التي يصلى إليها في زمن المصيف فكانت القديمة من خشب الأرز" . الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص٣٧. **أحمد عبد القوي محمد**: العنزة في المغرب الأقصى بين التأصيل والدلالة الوظيفية، كلية الآثار والإرشاد السياحي، جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا، مجلد٢٢، عدد١، ٢٠٢١م، ص٣٩٤.

([1])جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص٤٦.

([2])جامع القرويين، م١، ص٤٧.

([3])**الأساكيب**: هي البلاطات العرضية الموازية لجدار القبلة، هذه البلاطات تحدد المساحة المخصصة للصلاة. **حسين مؤنس**: المساجد، ص٧٧.

المئذنة التي ما زالت تستوقف الأنظار – إلى اليوم– بارتفاعها الشامخ وخطوطها الهندسية الرائعة([1]).

وتم بناء مسجد القرويين وتصميمه وفق ما أرادته السيدة فاطمة إذ يقول ابن القاضي بعد ما وصف جامع القرويين: "تم على نحو ما أرادته"([2]).

– دعم الدولة:

ولم تكن السيدة فاطمة الفهرية بحاجة إلى المال حيث كان ميراثها يكفي لبناء المسجد، وإنما كانت بحاجة إلى مساندة ودعم معنوي من الدولة الإدريسية متمثلة في حاكمها الأمير يحيى بن محمد بن إدريس، والذي دعم السيدة فاطمة في عملها العظيم هذا، خاصة أن عاصمة ملكه كانت بحاجة إلى مسجد مثل هذا لمواكبة التطور العمراني الذي شهدته فاس بعهده، فكان يتابع البنائين بنفسه إلى جانب الفقهاء والعلماء([3]).

وجدير بالذكر أنه عند البدء بالعمل شرعت السيدة فاطمة بالصوم حتى أنجز العمل بالمسجد، وعندما فرغت السيدة فاطمة من بنائه سنة ٢٦٣هـ/٨٧٧م، أقامت صلاة الشكر لربها على فضله وامتنانها لكريم عطائه ورزقه الذي وفقها لبناء هذا الصرح الذي كان له دورٌ قياديٌ ورائعٌ في نشر

([1])المساجد، ص١٦٥.

([2])جذوة الاقتباس، ص٥٢.

([3])**ابن أبي زرع:** الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص٢٩. **الجزنائي:** جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص٤٦.**ابن خلدون:** تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص٢٠. **ابن القاضي:** جذوة الاقتباس، ص٥٢ **حسين مؤنس:** المساجد، ص١٦٤.**عبد الهادي التازي:** جامع القرويين، ص٤٦.

الإسلام والعلوم ببلاد المغرب العربي([1])، كما تحول إلى جامعة لتدريس العلوم كما سيتضح، وكان هذا العمل العظيم من تمويل السيدة فاطمة الفهرية ويكفيها فخرًا ما قاله عنها ابن خلدون: "فكأنما نبهت بذلك عزائم الملوك من بعدها"([2]).

وضعت السيدة فاطمة نصب أعينها ضرورة استمرار بقاء دور المسجد الديني والتعليمي بعد وفاتها، لذلك وجدت السبيل الذي من شأنه أن يضمن بقاء دور المسجد وهو وقف جزء من ممتلكاتها على المسجد([3]).

وقد امتاز مسجد القرويين دون مساجد العالم الإسلامي بأنه أولُ مسجدٍ تشيده فتاة مسلمة، فقد كان من المتعارف عليه حتى ذلك التاريخ أن تقوم الدولة نفسها ببناء المساجد، السلطان أو من يمثله، وقد دخلت السيدة فاطمة الفهرية التاريخ من أوسع أبوابه بفعلها العظيم هذا فإذا ذكر جامع القرويين ذكرت معه فاطمة الفهرية والعكس صحيح([4])، الأمر الذي جعل الحسن السائح([5]) يعدها واحدة من أربع نسوة في العصر الإدريسي الذين كان لهم دورٌ سياسيٌ أو تعليميٌ، ووصفها بأنها مؤسسة أقدم كلية في العالم المتمدن

([1])**ابن أبي زرع:** الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص٣٠. **الجزنائي:** جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص٤٦. **ابن القاضي:** جذوة الاقتباس، ص٥٢.**الناصري:** الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج١، ص٢٣٢. **عبد الهادي التازي:** جامع القرويين، ص٤٧.

([2])تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص٢٠.

([3])**عبد الهادي التازي:** جامع القرويين، م١، ص١٣٢.

([4])**فاتحة الأنصاري:** فاطمة الفهرية مؤسسة جامعة القرويين، المجلة العربية العلمية للفتيان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، عدد ٣٧، ٢٠٢٢م، ص٥.

([5])الحضارة الإسلامية في المغرب، ص١٦١،١٦٢.

والتي بنت القرويين بفاس، ووصفها ابن أبي زرع([1]) بـ "المرأة المباركة الصالحة" كما أنها جعلت لمدينة فاس مكانة خاصة بين عواصم العالم الإسلامي، بل إنها تأتي في المرتبة الرابعة بعد مكة المكرمة والمدينة النبوية وبيت المقدس على حد قول عبد الهادي التازي([2]).

وهنا قضية ينبغي الإشارة إليها وهي اللوحة التي عثر عليها- عند أعمال الترميم- في البلاط الأوسط فوق قوس المحراب القديم، الذي كان لمسجد القرويين قبل قيام المرابطين بتوسعة المسجد، لقد اكتشفت مدفونة تحت الجبس وهي لوحة من الأرز طولها أربعون متر وسبعون سانتيما، وكان مما كتب عليها: "... بني هذا المسجد في شهر ذي القعدة من سنة ثلاث وستين ومائتي سنة مما أمر به الإمام أعزه الله داود بن إدريس..."([3]). ليطرح السؤال نفسه وبقوة من بنى جامع القرويين هل هو الإمام داود بن إدريس أو السيدة فاطمة الفهرية؟

يذكر مهدي الإدريسي سليطين أن السيدة فاطمة الفهرية اقتصرت مساهماتها في بناء المسجد على التمويل المالي([4]) مستندًا إلى ما ذكره ابن جزي الكلبي الغرناطي([5]) حيث قال: "...أما القرويين فأهابت صداقها لبنائها الولية الصالحة فاطمة اللمطية بنت سيدي محمد الفهري القيرواني

([1])الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص٣٠.

([2])جامع القرويين، م١، ص٤٧.

([3])**عبد الهادي التازي:** جامع القرويين، م١، ص٤٧. **ويوضح ملحق رقم ١ اللوحة الأثرية التي كتب عليها هذا الكلام.**

([4])جامع القرويين وإشكالية التأسيس بين داود بن إدريس وفاطمة الفهرية، ص٢٧.

([5])مختصر البيان في نسب آل عدنان، مخطوط مطبوع، المكتبة الرقمية لمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، المغرب، ص١٢٨. **ويوضح ملحق رقم ٢ صورة المخطوط التي بها هذا الكلام .**

رحمهما الله تعالى ورضى عنهما، وأما جامع الأندلس فأهابت صداقها لبنائها الولية الصالحة مريم بنت سيدي محمد الفهري اللمطي القيرواني".

وهنا يجب ذكر ما أورده ابن أبي زرع([1]): "... ثم شرعت في حفر أساسه وبنائه وذلك يوم السبت مستهل رمضان سنة خمس وأربعين ومائتين فبنته بالطينة والكذان وحفرت في وسطه فصنعت كهوفا واقتطعت الكذان وأخرجت منها التراب والحجر والرمل الأصفر الطيب فبنت به الجامع المذكور كله حتى تم ولم تدخل فيه شيء من تراب غيرها وحفرت البير التي في الصحن فكان البناؤون يسقون منها لبناء الجامع المذكور".

كما قال ابن القاضي([2]) بعد حديثه عن الشكل النهائي للمسجد: "... تم على نحو ما أرادت".

وهذا يؤكد عدم اقتصار دور السيدة فاطمة الفهرية على التمويل المالي للمسجد، بل تدخلت في جميع مراحل البناء بدايًة من مواد البناء وانتهاء بتصميم المسجد.

حاول المؤرخ عبد الهادي التازي التدقيق في من ينسب له الفضل في بناء جامع القرويين، ويقول المؤرخ بأنه لم يعثر على نص تاريخي باستثناء اللوحة يعزز بناء الإمام داود لجامع القرويين، ويخلص إلى أن المسجد يرجع تشييده للسيدة فاطمة الفهرية مستندًا إلى أن ابتداء البناء كان في رمضان سنة ٢٤٥هـ/٣٠ نوفمبر ٨٥٩م في أيام يحيى ولكنه استمر إلى سنة ٢٦٣هـ/٨٧٧ م أيام داود بن إدريس، وتكون فاطمة استغرقت في صومها كل هذه المدة، ويؤيد هذا الرأي:

أولًا: ما شهدته البلاد من الجفاف.

([1])الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص٣٠.

([2])جذوة الاقتباس، ص٥٢.

وثانيًا: ما تعهدت به فاطمة والتزمت من استخراج كل موارد البناء من نفس البقعة تحريًا للحلال.

وثالثًا: أن المصادر التاريخية إنما تحدثت عن ابتداء البناء ولم تتحدث عن انتهائه، فكل هذا ما يبرر استغراق المدة.

بيد أن المؤرخ لا يركن لهذه الخلاصة بل إنه يطرح تساؤلًا ينهي الجدل حول من أسس جامع القرويين وهو لماذا اختفى اسم السيدة فاطمة الفهرية من اللوحة مع أن النصوص تتضافر لتؤكد أنها من أسست جامع القرويين؟ ويجيب: "إننا نعلم أن التقاليد القديمة لا تلح في ذكر أسماء النساء على المباني، سيما مع ما أثر من أن الشعوب قد تقوم بالمشاريع وترجو إلى الملوك تبنيها تقديرا لهم وتكريمًا لمقامها"([1]).

ويضاف إلى كلام التازي تأكيدًا على أن فاطمة هي من قامت ببنائه:

– ما ورد سابقًا من نصوص المؤرخين التي تثبت لها أنها صاحبة البناء([2]).

– ليس شرطًا أن يكون معنى النص الذي ورد باللوحة"... مما أمر به الإمام أعزه الله داود بن إدريس... "أن الإمام هو من أمر ببنائه، بل يمكن أن يكون فقط للدلالة على أنه أنشئ في عصره، وذلك مثل حال جميع المشاريع العمرانية قديمًا أو حديثًا والتي يوضع عند مدخلها ما يفيد أنها أنشئت في عصر الخليفة كذا أو الأمير كذا، أو الرئيس كذا، ويكون المراد أنها بنيت في عهده وليس شرطًا أن يكون هو الباني لها.

([1])جامع القرويين، م١، ص٤٨. تاريخ بناء القرويين، مجلة دعوة الحق، العدد الأول، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، أكتوبر ١٩٦٢م، ص٣٦–٣٨.

([2])انظر ما ورد من نصوص المؤرخين في هذا البحث عند الحديث عن بناء المسجد.

– يحتمل أن يكون عدم وضع اسمها راجعًا إلى رغبتها في ذلك، كما هو الشأن في سائر أعمال البر مما يفضل أصحابه إخفاءه إخلاصًا وتقربًا إلى الله، وبعدًا عن الشهرة والرياء والسمعة.

– وفاة السيدة فاطمة الفهرية:

وبنظرة دقيقة على ما ساقته المصادر عن السيدة فاطمة الفهرية يتضح أنها كانت على درجة إدراك عالية بأهمية الدور المنوط بها تجاه مجتمعها، وعلى امتلاكها عقلية المساهمة في البناء العام حيث ينصهر الرجل والمرآة في بوتقة بناء الأمة، ثم حان وقت الرحيل، ولم تحدد المصادر تاريخ وفاتها، ولكن من المؤكد أنها رحلت بعد إتمام بناء مسجد القرويين سنة ٢٦٣هـ/٨٦٧م، ولكن لم ينقطع اسمها ولا ذكرها عن دنيا الناس إلى اليوم، بل لقد سجلت اسمها في سجل الخالدات إلى يوم الدين بهذا العمل العظيم الذي أصبح شعاعًا دينيًا وعلميًا وثقافيًا للناس على مر الأجيال([1]).

استمرار دور المسجد التعليمي وتطوره في العصور المتعاقبة:

يعتبر جامع القرويين سجلًا لتاريخ المغرب، حيث اشتركت في بنائه جميع الدول التي تعاقبت على حكم المغرب([2])، ويجزم عبد الهادي التازي ببداية التعليم بالقيروان في الوقت الذي بدأت الصلاة فيه، ولهذا يعتقد أن العلماء الذين وضعوا قبلة القرويين كانوا أول من جلس فيها للحلقات

([1])**ابن أبي زرع:** الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص٢٩. **الجزنائي:** جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص٤٥، ٤٦. **ابن خلدون:** تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص٢٠. **الناصري:** الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج١، ص٢٣١. **فاطمة نافع:** أبعاد شخصية السيدة فاطمة الفهرية أم البنين، ص١٠٢، ١٠٣. **الصغير الغربي:** مؤسسة القرويين أقدم جامعات العالم، مجلة أجسر، منظمة المجتمع العلمي العربي، ٢٠١٧م، ص١.

([2])**حسين مؤنس:** المساجد، ص١٦٦.

العلمية، خاصةً مع قرب المسجد مكانيًا من بيت الأمير يحيى الأول الذي رحل إليه العلماء من القيروان والشرق والأندلس، واهتمامه بمسجد القرويين، ومن أوائل من عقد مجالس علمية بالقرويين بكر بن حماد التاهرتي (ت٢٩٦هـ/٩٠٨م)([1])، وهو معاصر للسيدة فاطمة الفهرية، وكل القرائن تؤكد على أن جامع القرويين عرف حلقات علمية منذ تأسيسه([2]) ويعتقد كثير من المؤرخين أن جامع القرويين انتقل إلى مرحلة البداية الجامعية في عهد المرابطين([3]) (٤٣١-٥٤١هـ/١٠٤٠-١١٤٧م) بالتزامن مع تغيير شكل جامع القرويين المعماري وتوسعته([4]) في عهد علي بن يوسف بن

([1]) **بكر بن حماد التاهرتي:** هو أبو عبد الرحمن بكر بن حماد التاهرتي ، كان ثقة مأمونًا حافظًا للحديث، عرف بمجالسه العلمية سواء في القيروان أو بغداد، ورد على فاس باستدعاء خاص من الأمير أحمد بن القاسم بن إدريس الذي كان على سابق معرفة به، وتوفي سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م. **البكري:** المسالك والممالك، ج٢، ص٧٣٤. **عبد الهادي التازي:** جامع القرويين، م١، ص١١١،١١٢.

([2])**عبد الهادي التازي:** جامع القرويين، م١، ص١١١،١١٢.

([3]) **الدولة المرابطية: تأسست هذه الدولة على أيدي يوسف بن تاشفين سنة ٤٣١هـ/١٠٤٠م، وأسس مراكش واتخذها عاصمة لدولته، كما دخل الأندلس وسيطر عليها بعد معركة الزلاقة، ودخلت الدولة أزهى عصورها في عهد علي بن يوسف بن تاشفين. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٩٤. ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت٦٨١هـ/١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة، لبنان، د. ت، ج٧، ص١٢٤. ابن الخطيب، أبو عبد الله بن سعد بن أحمد السلماني(ت٧٧٦هـ/١٣٧٥م): الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: يوسف علي طويل، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م،ج٤، ص٥٧، ٣٠٤. الناصري: الاستقصا، ج٢، ص٣.**

([4])**ابن أبي زرع:** الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص٣٣ . **الناصري:** الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، ج٢، ص٢٩.

تاشفين([1])، ولعل ما يؤكد وجود دراسة بجامع القرويين في العصر المرابطي ما جاء في ترجمة محمد بن جامع الأنصاري([2]) أنه نزل مدينة فاس وقعد بغربي جامع القرويين منها يدرس الفقه وأصوله ومسائل الخلاف، ولم يزل مقبلًا على نشر العلم وإفادته بجامع القرويين إلى أن توفي سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م([3]).

ولم يقتصر الإشعاع العلمي والتأثير الثقافي للقرويين على الرجال، بل نبغ برحاب القرويين عالمات جليلات كان لهن دور رائد في الحركة العلمية بجامع القرويين بشكل خاص وفاس بشكل عام منهن على سبيل المثال ليس الحصر: "ورقاء بنت ينتان"([4]).

([1])**علي بن يوسف بن تاشفين:** هو أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين البربري ملك المرابطين، ولد سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م، كان شجاعًا مجاهدًا، وهو خامس حكام الدولة المرابطية بالمغرب والأندلس، تولى الحكم سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م، وبلغت الدولة أوج اتساعها في عهده، وتوفي سنة ٥٣٧هـ/١١٤٣م. **الذهبي:** سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص١٢٤.

([2])**محمد بن جامع الأنصاري:** هو محمد بن أحمد بن إبراهيم بن عيسى بن هشام بن جامع بن جراح بن لواء الأنصاري الخزرجي، من أهل جيان، رحل إلى المشرق فسمع بالإسكندرية، ومكة، وتوفي بفاس سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م. **ابن عبد الملك، أبو عبد الله محمد بن محمد الأنصاري(ت٧٠٣هـ/١٣٠٤م):** الذيل والتكملة، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٦٥م، ج٢، ص٥٨١-٥٨٣.

([3])**ابن عبد الملك:** الذيل والتكملة ج٢، ص٥٨٣.

([4])**ورقاء بنت ينتان:** هي ورقاء بنت ينتان الحاجة، ويقال لها الفاسية، كانت من أهل طليطلة، وأصلها من أمازيغ المغرب، ثم انتقلت إلى مدينة فاس، وسكنت بها عهد المرابطين، ذكر ابن عباس أحمد بن فرتون الفاسي أنها كانت على صلة بأسرته بفاس حيث قال: "كانت في دار جد أبي للأم إلى أن توفيت"، وتوفيت بعد سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م. **القضاعي:** التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م،ج٤، ص٢٥٦.

والتي كان لها دور رائد في تحفيظ رواد جامع القرويين القرآن الكريم([1]).

كما كان القرويون مركز التعليم وثقله بالعصر الموحدي حيث قصده علماء كثر للتدريس فيه([2])، وقد حدث تحول هام لجامع القرويين في **عهد المرينيين** (٦٤١-٨٦٩هـ/١٢٤٤-١٤٦٥م)([3]) حيث تبلور نظام التعليم وتحول إلى ما يشبه التعليم الجامعي، واشتهر جامع القرويين بمجالسه العلمية، حيث انتشرت في أرجاء القرويين كراسي العلم([4]).

([1])**القضاعي:** التكملة لكتاب الصلة، ج٤، ص٢٥٦. **عبد العزيز بن عبد الله:** معطيات الحضارة المغربية، دار الكتب العربية، الرباط، ١٩٦٣م، ص١٥،١٦.

([2])من العلماء الذين تصدروا للتدريس بجامع القرويين بالعصر الموحدي ابن المواق، ويوسف بن عبد الصمد بن نموي وعبد الله بن محمد بن علي الحجري. **ابن المواق، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن خلف بن فرج(ت٦٤٢هـ/١٢٤٥م):** بغية النقاد النقلة فيما أخل به كتاب البيان وأغفله، تحقيق: محمد خرشافي، ط١، مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص١٦٤. **ابن القاضي :** جذوة الاقتباس، ص٥٥٠. **التنبكتي، أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد(ت١٠٣٦هـ/١٦٢٧م):** نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ط٢، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، ٢٠٠٠م، ترجمة رقم ٧٦٨، ص٦٢٦.

([3])استغل بنو مرين الضعف الذي أصاب الدولة الموحدية بعد معركة العقاب٦٠٩هـ/ ١٢١٢م وانتقلوا مسرعين إلى المغرب الأقصى، وحكموا ما يقارب من ثلاثة قرون، وأول من اشتهر منهم هو أبو بكر بن عبد الحق. **أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن علي (ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م):** المختصر في أخبار البشر، ط١، المطبعة الحسينية المصرية، مصر،ج٤، ص٨. **الناصري:** الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج٣، ص٣٩،٤٠.

([4])يقصد بكراسي العلم وجود كرسي يصعد عليه المعلم ليتمكن من أداء مهمته وتبليغ رسالته تعدى حضور بعض هذه الكراسي الألف طالب منها على سبيل المثال وليس الحصر كرسي عبد الرحمن بن عفان الجزولي، والحسن بن منديل المغيلي، واشتهرت بعض الكراسي العلمية بأسماء الكتب التي كانت تدرس عليها. **التنبكتي:** نيل الابتهاج،

وقال الكتاني([1]) عن كراسي العلم بجامع القرويين: "كراسي العلم في جامعة القرويين يعتبر ولاية حكومية عليا كالوزارة والقضاء والفتيا... فكرسي التدريس بها، خطة من خطط الدولة، وولاية من ولاياتها... وعن فاس أخذت الدنيا بعد ذلك نظام كراسي العلم والأستاذ الجامعي الكبير".

وبنظرة إلى العلماء الذين درسوا بالقرويين في العهد المريني سيتضح أن القرويين استقطب أعظم العلماء من مختلف التخصصات العلمية كابن آجرّوم([2]).

ترجمة رقم ١٦٩، ص ١٦٢. ترجمة رقم ٢٨٩، ص٢٤٤. **محمد المنتصر بالله الكتاني:** فاس عاصمة الأدارسة ورسائل أخرى، ص٥٦. **محمد بن عزوز:** كرسي صحيح الإمام البخاري بجامع القرويين بمدينة فاس، ط١، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، المغرب، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص٨،٩. **محمد المنوني:** كراسي الأساتذة بجامع القرويين، مجلة دعوة الحق، العدد٢، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٩٦٥م، ص١٠١. **سليمان الحوت:** الروضة المقصودة والحلل الممدودة في مأثر بني سودة، مكتبة بن سودة، فاس، المغرب، ١٩٩٤م، ج١، ص٢٤٩.

([1])فاس عاصمة الأدارسة، ص٥٦،٥٧.

([2])**ابن آجروم:** هو محمد بن محمد بن داود الصنهاجي، يكنى بأبو عبد الله المعروف بإبن أبي آجروم، ولد سنة ٦٧٢هـ/١٢٧٤م، درس على كبار أهل عصره، واشتغل بالعلم تدريسًا وتأليفًا، ومن مصنفاته المقدمة الآجرومية في اللغة العربية، البارع في قراءة نافع وغيرها، توفي سنة ٧٢٣هـ/١٣٢٣م ودفن بباب الحمراء بمدينة فاس بالمغرب. **ابن آجروم، محمد بن محمد بن داود الصنهاجي(ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م):** مقدمة الآجرومية، تحقيق: حايف النبهان، د. ن، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص١٣-١٥. **إسماعيل البغدادي:** هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ج ٦، ص١٤٥.

وابن خلدون([1]) الذي جلس بجامع القرويين يستقي العلم من علمائه كما أنه شارك بشكل واسع وفعال في الحركة العلمية بجامع القيروان وغيرهم الكثير والكثير([2]).

تغيرت الدول التي تعاقبت على حكم المغرب، لكن جامع القرويين الذي شيدته فاطمة الفهرية، لا يزال منارة يشع منها الأنوار إلى العالم كافة، وبفضل علماء القرويين خلد الإسلام في المغرب لمدة أحد عشر قرنا([3])، وقد عادت النية الصادقة للسيدة فاطمة الفهرية على المسجد، ومن الجدير بالذكر في هذا المقام الإشارة لما أورده ابن القاضي([4]) حيث قال: "ومن الغريب في هذا المسجد أنه مهما جرت فيه بدعة ألهم الله من عباده المؤمنين من يزيلها عنهم". ويرجع الفضل لجامع القرويين في ديمومة الوجود الإسلامي ببلاد المغرب؛ لأنه لم يكن مجرد مسجد لاستقبال المسلمين في الصباح والمساء لأداء مناسكهم وصلواتهم، لكنه تجاوزه إلى المركز العلمي الذي كان بمثابة مصدر إشعاع ثقافي وعلمي على مختلف جبهات المغرب، ووصل نوره إلى بعض بلاد المشرق ومدن الأندلس، وعندما قال المؤرخون: (إنه أقدم جامعة في العالم)([5]) فإنهم كانوا يقصدون

([1])**ابن خلدون:** شفاء السائل وتهذيب المسائل، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص٢٥.

([2])**ابن آجروم:** مقدمة الآجرومية، ص١٥. **ابن الخطيب:** معايير الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق: محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، بيروت، د. ت، ص ١٥-١٨.

([3])**محمد المنتصر بالله الكتاني:** فاس عاصمة الأدارسة، ص ٦٧.

([4])جذوة الاقتباس، ص٧٥.

([5])تعد جامعة القرويين أقدم الجامعات في العالم، وقد سبقت في الظهور الزيتونة بتونس والأزهر بمصر، كما أنها تعد أقدم من جامعات أوربا بمائتي عام إلا تسع سنين. **محمد**

من هذه العبارة إلى أنه المعهد الوحيد الذي استمر في أداء رسالته العلمية دون توقف([1]).

وهكذا أسهمت فاطمة الفهري بشكل فعال في تغيير الوجه العلمي والعمراني لفاس حيث أصبحت فاس بوجود جامع القرويين حاضرة المغرب وموضع العلم منه، واجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة على حد تعبير عبد الواحد المراكشي([2]).

- جامع الأندلس

أما بالنسبة لجامع الأندلس فلم تختلف قصة نشأته كثيرًا عن جامع القرويين، حيث بني هذا الجامع بعدوة الأندلسيين وهي العدوة الأولى لفاس، وشهدت عدوة الأندلس نهضة عمرانية زمن الأمير يحيى بن إدريس، ورأت السيدة مريم الفهرية أن الضرورة تقتضي إنشاء مسجد ليستوعب هذا العدد المتزايد من السكان خاصةً أن مسجد الأشياخ قد ضاق بأهله وأصبح لا يتسع لهذا العدد المتزايد من السكان، فاشترت السيدة مريم أراضي، وشرعت في بناء المسجد، أما فيما يخص التمويل المالي فكان نتيجة الأموال التي ورثتها من والدها وإخوتها، فكان مسجد الأندلس الذي تم العمل به سنة ٢٤٥هـ/٨٥٩م([3]).

المنتصر بالله الكتاني: فاس عاصمة الأدارسة، ص١٧. **الصغير الغربي:** مؤسسة القرويين أقدم جامعات العالم، ص٢.

([1])**محمد بن عزوز:** كرسي صحيح الإمام البخاري، ص٨،٩.

([2])المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تحقيق: محمد سعيد العريان، محمد العربي العلمي، ط١، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م، ص٣٥٨.

([3])**ابن أبي زرع:** الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص٢٩، ٣٠.**الجزنائي:** جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص٩٢. **ابن القاضي:** حذوة الاقتباس، ص٧٨. **محمد**

- وصف المسجد:

تكون المسجد في بدايته من ست بلاطات، وله صحن صغير وانتشرت الأشجار بمحيطه، وكانت له ساقية صغيرة تعرف بساقية مصمودة([1])، ووصفه الحميري بأنه جامع كبير متقن البناء([2]).

وأنفقت السيدة مريم على بناء المسجد من مالها الخاص بعد أن اشترت الأرض، وحظى هذا المسجد باهتمام الدولة الإدريسية متمثلة في حاكمها يحيى بن محمد بن إدريس الذي كان يشجع النهضة المعمارية بمدينة فاس، كما أعانها على بنائه جملة من الأندلسيين الساكنين هناك، ولهذا سمي الجامع باسمهم([3]).

- استمرار دور المسجد في التعليم وتطوره في العصور المتعاقبة:

كان لمسجد الأندلس دور واسع في النشاط العلمي بمدينة الأندلس، رصد الجزنائي([4]) هذا النشاط في منتصف القرن الرابع الهجري ولم يكن مَرَّ على تأسيسه مائة عام بقوله:" وكان جملة من العلماء يدرسون العلم في مواضع من هذا الجامع وكانوا أهل شورى ممن يقتدى بهم يقصدهم الناس

المنتصر بالله الكتاني: فاس عاصمة الأدارسة، ص٣٩. **حسين مؤنس:** المساجد، ص١٦٦.

([1])**ابن أبي زرع:** الأنيس المطرب بروض القرطاس ، ص٣٠.**الجزنائي:** جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص٩٢. **حسين مؤنس:** المساجد، ص١٦٦،١٦٧. **عمر رضا كحالة:** أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ج٥، ص٤٢.

([2])الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٠م، ص٤٣٤.

([3])**ابن أبي زرع:** الأنيس المطرب بروض القرطاس ، ص٣٠. **الجزنائي:** جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص٩٢.

([4])جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص٩٤،٩٥.

من أقطار البلاد، فمن مجود لتلاوة القرآن، ومن مدرس، ومن طالب لما شاء من فنون العلم في مجالس شتى منه، وكان أيضًا جملة من الصلحاء والعباد يلتزمونه وقد تفرغوا للعبادة بعد تحصيل العلم ويقصدهم الناس للفتاوى وطلب العلم والأدب والتماس الدعاء، فمن المتقدمين الملازمين لهذا الجامع الفقيه الصالح الولي الورع جبر الله بن القاسم الأندلسي([1]) نزيل عدوة الأندلسيين من فاس، وهو ممن أدخل علم مالك بها".

ويستفاد من هذا النص نشاط الحركة العلمية التي كانت بجامع الأندلس في منتصف القرن الرابع الهجري، وهي كانت نتيجة نشاط علمي متراكم، ومن المحتمل أن يكون جامع الأندلس هو الأخر قد شهد مجالس علمية منذ اليوم الأول لتأسيسه وجذب العديد من العلماء حتى إذا انتصف القرن الرابع الهجري تبلور النشاط العلمي بقدوم مشاهير العلماء إليه، وفي ذلك يجب الإشارة لما أورده محمد المنتصر بالله الكتاني([2]) عن وصفه لمسجد الأندلس بالجامعة إذ قال: "القرويين صارت جامعة من أول يوم تم بناؤها جامعًا، وقد نافستها جامعة أختها جامعة الأندلس في القرن الرابع".

تم بناء صومعة لمسجد الأندلس سنة ٣٤٥هـ/٩٥٧م، فيما تم بناء مئذنة لمسجد الأندلس شبيهة بمسجد القرويين في سنة ٣٥٤هـ/٩٦٥م([3]).

حدث تطور علمي ومعماري مهم لمسجد الأندلس في **عهد الموحدين(٥١٥هـ-٦٦٧هـ/١١٢١-١٢٦٩م)**، ولعل سياسة الموحدين القائمة على شرح العقيدة الأشعرية ونشرها من خلال المساجد، ساعدت

([1])**جبر الله بن القاسم:** هو جبر الله بن القاسم السلفي، من مشاهير فقهاء فاس ومتقدميهم، سمع من أصبغ بن الفرج. **الجزنائي:** جني زهرة الآس، ص٩٥.

([2])فاس عاصمة الأدارسة، ص٤٨.

([3])جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص٩٢. حسين مؤنس: المساجد، ص ١٦٧.

على تبوء مسجد الأندلس الصدارة في العهد الموحدي([1]) حيث كان له دورٌ مهمٌ في محاربة المذهب المالكي، تماهيًا مع سياسة الدولة الموحدية([2])، مما دعا الناصر الموحدي(٥٩٥-٦١٠هـ/١١٩٩-١٢١٣م)([3]) لتجديده نظرًا لدوره الهام في نشر سياسة الدولة، وأدخل فيه إصلاحات معمارية هامة سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٨م حيث بني أشهر أبوابه وأحسنها زخرفة([4])، وفي ذلك قال الناصري: "وفيها أيضا أمر الناصر ببناء دار الوضوء والسقاية بإزاء جامع

([1])من الثابت تاريخيًا أن الدولة الموحدية عملت على محاربة المذهب المالكي، وحاولت طمسه لولا ثبات الفقهاء على موقفهم وتمسكهم بمذهبهم، وفي ذلك يقول **ابن الأحمر**: " إن ملوك الموحدين تحلوا بالمذهب المعروف لهم، تابعين للمهدي رئيسهم الأول القائل باعتقاده الفاسد بإنكار الرأي في الفروع الفقهية، والعمل على محض الظاهرية". بيوتات فاس الكبرى، دار المنصورة للطباعة والورق، الرباط، المغرب، ١٩٧٢م، ص١٩.

([2])عن سياسة الدولة الموحدية في محاربة المذهب المالكي ونشر المذهب الشيعي قال **المراكشي** عن الملك الناصر: "وفي أيامه انقطع علم الفروع، وخافه الفقهاء وأمر بإحراق كتب المذهب بعد أن يجرد ما فيها من حديث رسول الله ﷺوالقرآن ففعل ذلك فأحرق منها جملة في سائر البلاد، كمدونة سحنون، وكتاب ابن يونس، ونوادر ابن أبي زيد، مختصره، وكتاب التهذيب للبراذعي، وواضحة ابن حبيب، وما جانس هذه الكتب ونحا نحوها، لقد شهدت منها وأنا يومئذ بمدينة فاس يؤتى منها بالأحمال فتوضع ويطلق فيها النار وتقدم إلى الناس في ترك الاشتغال بعلم الرأي والخوض في شيء منه وتوعد على ذلك بالعقوبة الشديدة" . المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٢٧٨.

([3])**الناصر الموحدي** : هو أمير المؤمنين محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الزناني الكومي، وأمه هي أمة الله بنت أبي إسحاق بن عبد المؤمن بن علي، لقب الناصر لدين الله، بويع في حياة أبيه، وتجددت له البيعة بعد وفاته، هزم في معركة العقاب سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م، وأدت إلى ضعف قوة المسلمين في الأندلس، قتل مسمومًا سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م. **ابن أبي زرع**: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص١٥٢-١٥٤.

([4])**ابن أبي زرع**: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص٤٦.

الأندلس بفاس فبنيت وجلب إليها الماء من العين التي خارج باب الحديد وأمر ببناء الباب الكبير المدرج الذي بحصن الجامع المذكور وأنفق في ذلك كله من بيت المال"([1]).

واستقطب مسجد الأندلس في العهد المريني أكابر العلماء مثل أبي الربيع سليمان الونشريسي([2])، حيث درس بمسجد الأندلس، وكان يحضر دروسه العلمية عدد كبير من طلبة العلم([3]).

ولم يلبث أن تحول مسجد الأندلس إلى جامع دراسي كبير، وكان له تأثير مباشر على الثقافة المغربية التي أخذت طابعًا جديدًا فازدهرت الدراسة الإسلامية به، كما ظهرت حركة علمية نشيطة على هيئة شروح وتصانيف ومؤلفات جديدة([4]).

وفاة السيدة مريم الفهرية:

لم تتوفر معلومات تفصيلية عن وفاة السيدة مريم الفهرية باستثناء ما أورده ابن أبي زرع([5]) في قوله عن فاطمة الفهرية: "أتت من إفريقية مع أختها وزوجها فسكنوا بالقرب من موضع الجامع المذكور فتوفى زوجها وأختها فورثت منهم مالًا جسيمًا حلالًا طيبًا"، وهذا يعني وفاة السيدة مريم قبل وفاة السيدة فاطمة، ويشير أيضًا إلى كثرة المال الذي كانت تمتلكه السيدة مريم بدليل قول ابن أبي زرع "مالًا جسيمًا"، ويدل هذا أيضًا على أنه

([1])الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج٢، ص٢١٩.

([2])**سليمان الونشريسي:** هو أبو الربيع سليمان الونشريسي، يكنى أبو الربيع، أخذ عنه الفقه أبو سالم اليزناسني، كما قرأ عليه أبو عبد الله الرندي كتاب الجلاب وكان قائمًا، وتوفي سنة ٧٠٥هـ/١٣٠٦م. **التنبكتي:** نيل الابتهاج، رقم الترجمة ١٨٩، ص١٨٣.

([3])**التنبكتي:** نيل الابتهاج، رقم الترجمة ١٨٩، ص١٨٤.

([4])**الحسن السائح:** الحضارة الإسلامية في المغرب، ص١٥٠.

([5])الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص٣٠.

في وقت وفاة السيدة مريم الفهرية لم يكن لها أصل ذكر بمعنى أنها من المحتمل أنها لم تتزوج، أو تزوجت، ومات زوجها قبلها ولم تنجب ولد([1]).

وببناء السيدة فاطمة لمسجد القرويين، والسيدة مريم لمسجد الأندلس، فإنهما يكونان قد أسهمتا بشكل فعال في حركتي التعليم والعمران التي شهدتها مدينة فاس في عهد الأمير يحيى بن محمد بن إدريس بن إدريس، وانخرطتا ضمن القائمين على هذه العملية الحضارية ببناء جامع القرويين، والأندلس([2]).

ولعل هذه الإسهامات نابعة من الإحساس بالمسؤولية تجاه المجتمع ليعد مفخرة من مفاخر المرأة العربية المسلمة، ودليل قوي على مظاهر الرقي الفكري عند نساء المغرب بشكل عام، وبنات محمد الفهري بشكل خاص هذا من جهة، ومن جهة أخرى على الانسجام بين عدوتي فاس أيام الأدارسة إذ كان من الممكن استئثار إحدى العدوتين بالمسجدين دون الأخرى ، ولكن صممت بنات محمد بن عبد الله الفهري على إنشاء مسجد بكل عدوة من العدوتين([3]).

([1])**محمد الشحات الجندي:** الميراث في الشريعة الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ص١٣٦.

([2])**ابن أبي زرع:** الأنيس المطرب بروض القرطاس الأنيس المطرب بروض القرطاس ، ص٢٩. **الجزنائي:** جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص٤٥،٤٦. **ابن خلدون:** تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص٢٠. **الناصري:** الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج١، ص٢٣١. **فاطمة نافع:** أبعاد شخصية السيدة فاطمة الفهرية أم البنين، ص١٠٢،١٠٣.

([3])**محمد عبد العزيز الصباغ:** جامع الأندلس بفاس، مجلة دعوة الحق، العدد الأول، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، أكتوبر، ١٩٦٢م، ص١٥.

الخاتمة:

كان لبيت محمد بن عبد الله الفهري دورٌ في النهضة الحضارية التي شهدتها إفريقية في القرنين الثالث والرابع الهجريين، وقد توصل البحث لعدة نتائج تتلخص فيما يلي:

١- تأثير القيروان المباشر على فكر فاطمة ومريم الفهريتين حيث تأثرن بالبيئة التعليمية الخصبة بمدينة القيروان ومن ثم تطلعن لإنشاء مسجدي القرويين والأندلس بعد هجرتهما منها.

٢- الدور الإيجابي لمحمد بن عبد الله الفهري في حياة بناته، حيث صمم على تعليمهن نظرًا لأنه كان من أكابر علماء الفقه بالقيروان، وسلوكيًا من خلال توجيههن لأعمال الخير.

٣- شَكَّل بناءُ مدينة فاس ومن ثَّم هجرة بنات محمد الفهري إليها نقطة تحول هامة في حياتهن فقد تأثرت الأختان بالمعاملة الحسنة من ملوك الأدارسة، ومن ثمَّ فكرن في رَدِّ الجميل للمدينة التي استضافتهن بين جنباتها ببناء مسجدين خلدا اسمهما في التاريخ.

٤- بناء المساجد ليس حكرًا على جنس أو لون أو عرق، وأن المرأة قادرة على تخطي كافة الصعوبات وتذليل كل العقبات إذا أتيحت لها الفرصة، فهاتان الفهريتان نموذج يدحض دعاوي المستشرقين الذين يرون أن المرأة المسلمة لا تسهم في مجتمعها وأن الإسلام يظلمها.

٥- يعد المسجد ركيزة كبرى من أهم ركائز بناء الدول وصناعة الحضارات وترسيخ القيم الإيجابية وإخراج قادة وأئمة ينيرون الدنيا بشمس الإسلام ونور القرآن.

٦- حدوث خلاف بين المصادر القديمة والمراجع الحديثة في صاحب فكرة إنشاء مسجد القرويين فذهبت المصادر القديمة إلى أن فاطمة بنت محمد

الفهري هي من وضعت حجر الأساس للمسجد ، فيما ذهب حسين مؤنس إلى أن صاحب الفكرة هو محمد الفهري وأكملت فاطمة البناء بعد وفاة والدها من خلال الثروة الهائلة التي تركها لها.

٧- ساهمت الدولة الإدريسية متمثلة في أميرها يحيى بن إدريس بشكل فعال في بناء المسجد وذلك من خلال الإشراف على البنائين ومتابعة أعمالهم.

٨- أوقفت السيدة فاطمة الفهرية جزءًا من ممتلكاتها على مسجد القرويين يدل على رغبتها في استمرار دور المسجد بعد وفاتها، وقد عادت نيتها الصادقة على بناء المسجد فأصبحت جامعة القريين أول جامعة في العالم.

٩- الجزم بأن دور السيدة فاطمة الفهرية في بناء جامع القرويين لم يقتصر على التمويل المالي للمسجد، وإنما شاركت في التفاصيل الدقيقة فيما يخص عملية البناء.

١٠- مشاركة الأندلسيين المتواجدين بعدوة الأندلس للسيدة مريم الفهرية في بناء مسجد الأندلس وتحوله لمركز ديني وتعليمي بعدوة الأندلس.

١١- الاستقرار السياسي يعقبه ازدهار علمي، وهذا ما حدث لجامع " القرويين والأندلس" على مدار التاريخ فعندما يكون هناك استقرار سياسي تحدث توسعات وتزدهر الأدوار العلمية والاجتماعية والدينية في حين يخفت صوتهما ويضمحل دورهما في فترة الاضطرابات السياسية.

الملاحق:

ملحق رقم ١

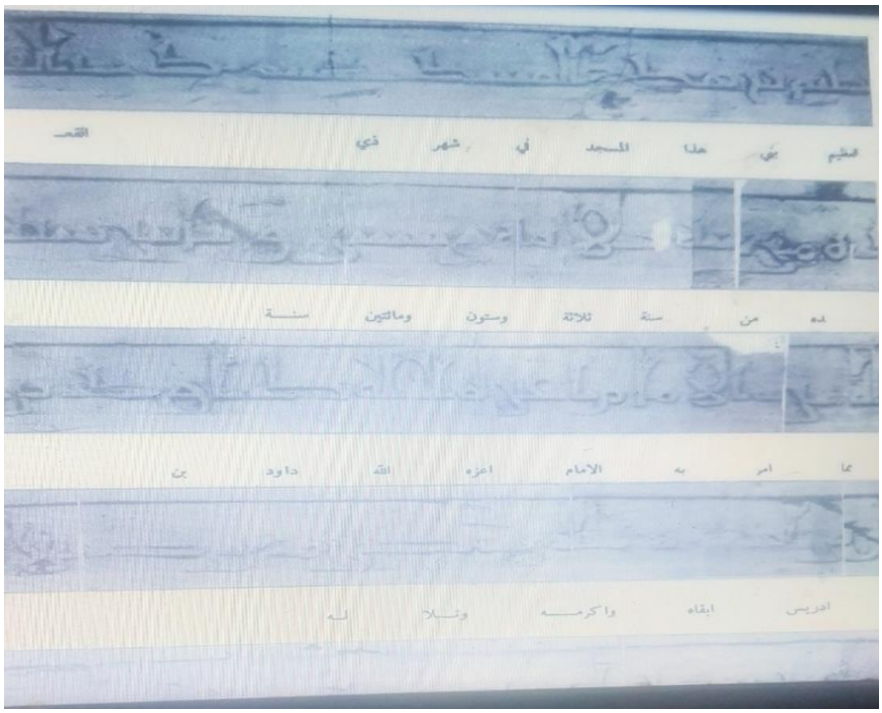

جزء من اللوحة التي عثر عليها مدفونة في ناصية البلاط الذي كان فيه المحراب القديم للقرويين أول الأمر، وهي تحمل تاريخ :" ثلاث وستين ومائتي سنة" كما تحمل اسم "الإمام داود بن إدريس" وتعتبر كتابتها أقدم خط كوفي عثر عليه بمدينة فاس عاصمة الإسلام الأولى بالمغرب الأقصى"([1]).

([1])**عبد الهادي التازي:** جامع القرويين، م١، ص٢٠٠.

ملحق رقم ٢

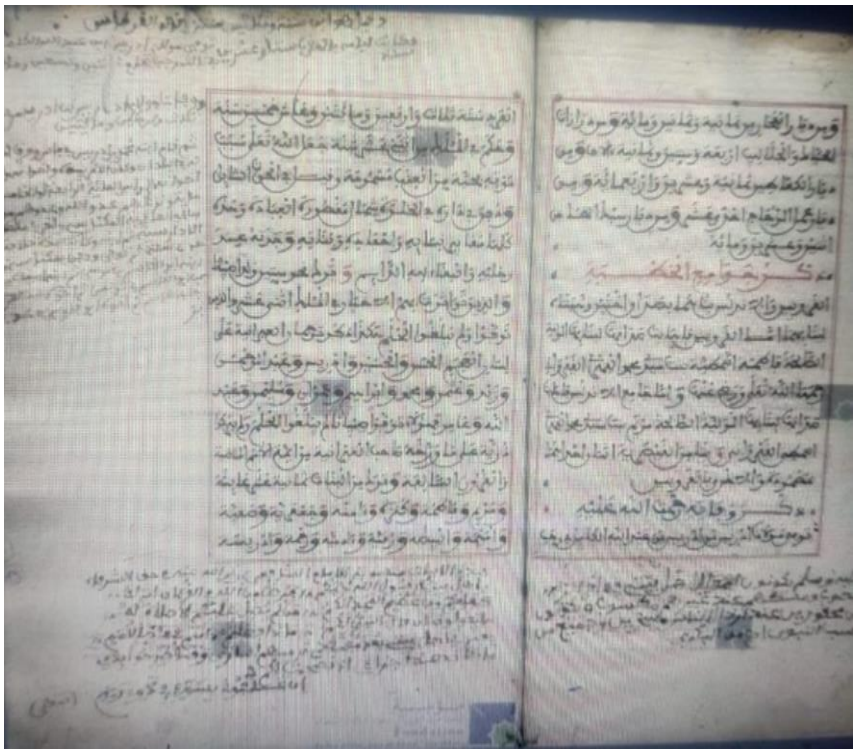

مختصر البيان في نسب آل عدنان، مخطوط مطبوع، المكتبة الرقمية لمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، المغرب، ص١٢٨، ١٢٩.

قائمة المصادر والمراجع:

أولًا: المصادر:

- **ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م):**

١- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٢- الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

- **ابن آجروم، محمد بن محمد بن داود الصنهاجي(ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م):**

٣- مقدمة الآجرومية، تحقيق: حايف النبهان، د. ن، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م .

- **البخاري، محمد بن اسماعيل(ت٢٥٦هـ/٨٦٩م):**

٤- صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط٣، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

- **البكري، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي(ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م):**

٥- المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م.

٦- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، ط٣،عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- **البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م):**

٧- أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار، رياض زركلي، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

- **التنبكتي، أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد(ت١٠٣٦هـ/١٦٢٧م):**

٨- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ط٢، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، ٢٠٠٠م.

- **الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل(ت٤٢٩هـ/١٠٣٨م):**

٩- فقه اللغة، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

- **الجزنائي، أبو الحسن علي الجزنائي(ت٧٤٥هـ/١٣٤٤م):**

١٠- جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، ط٢، المطبعة الملكية، الرباط، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

- **ابن جزي الكلبي، محمد بن أحمد بن عبد الله (ت ٧٤١هـ/١٣٤٠م):**

١١- مختصر البيان في نسب آل عدنان، مخطوط مطبوع، المكتبة الرقمية لمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، المغرب.

- **الحميري، محمد بن عبد المنعم الحميري(ت٩٠٠هـ/١٤٩٥م):**

١٢- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٠م.

- **ابن الخطيب، أبو عبد الله بن سعد بن أحمد السلماني(ت٧٧٦هـ/١٣٧٥م):**

١٣- الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: يوسف علي طويل، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

- **ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون(ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م):**

١٤- شفاء السائل وتهذيب المسائل، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

١٥- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

١٦- مقدمة ابن خلدون، ط٥، دار القلم، بيروت.

- **ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م):**

١٧- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة، لبنان.

- **ابن خياط، خليفة بن خياط(ت ٢٤٠هـ/٨٥٥م):**

١٨- تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار القلم، مؤسسة الرسالة، دمشق، بيروت، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

- **الدباغ، عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الله(ت ٦٩٩هـ/١٣٠٠م):**

١٩- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق: عبد المجيد الخيالي، ط، دار المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

- **الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس (ت٥٦٠هـ/١١٦٥م):**

٢٠- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

- **الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان(ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م):**

٢١- سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

- **الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني(ت١٢٠٥هـ/١٧٩١م):**

٢٢- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، الإسكندرية.

- **ابن أبي زرع الفاسي، علي بن محمد بن أحمد(ت٧٢٦هـ/١٣٢٦م):**

٢٣- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق: كارل يوحن تورنبرغ، دار الطباعة المدرسية، مدينة أوبسالة، السويد، ١٨٤٣م.

- **ابن سحنون، محمد بن سحنون بن عبد السلام(ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م):**

٢٤- آداب المعلمين، تحقيق: محمد عبد المولى، ط٢، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨١م.

- **ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي(ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م):**

٢٥- المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٥م.

- **ابن سيده المرسي، أبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي(ت ٤٥٨هـ/١٠٦٦م):**

٢٦- المخصص، تحقيق: خليل إبراهم جفال، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

- **الطالقاني، أبو القاسم إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس(ت٣٨٥هـ/٩٩٥م):**

٢٧- المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، ط١،عالم الكتب، بيروت، لبنان ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

- **ابن عبد ربه، أحمد بن محمد(ت٣٢٨هـ/٩٤٠م):**

٢٨- العقد الفريد، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان،١٩٩٩م.

- **ابن عبد الملك، أبو عبد الله محمد بن محمد الأنصاري(ت٧٠٣هـ/١٣٠٤م):**

٢٩- الذيل والتكملة، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٦٥م.

- **عبد الواحد المراكشي، محيي الدين عبد الواحد بن علي(ت٦٤٧هـ/١٢٥٠م):**

٣٠- المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تحقيق: محمد سعيد العريان، محمد العربي العلمي، ط١، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.

- **ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد(ت٦٦٠هـ/١٢٦٢م):**

٣١- بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار ، دار الفكر.

- **ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت٦٩٥هـ/١٢٩٦م):**

٣٢- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط٣، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.

- **أبو العرب التميمي، محمد بن أحمد بن تميم(ت٣٣٣هـ/٩٤٥م):**

٣٣- طبقات علماء إفريقية، وكتاب طيقات علماء تونس، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان.

- **ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله(ت٥٧١هـ/١١٧٦م):**

٣٤- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، تحقيق: عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

- **أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن علي (ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م):**

٣٥- المختصر في أخبار البشر، ط١، المطبعة الحسينية المصرية، مصر.

- **ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد(ت٧٩٩هـ/١٣٩٧م):**

٣٦- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: محمد الأحمدي، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، د. ت.

- **القاضي عياض، عياض بن موسى اليحصبي(ت٥٤٤هـ/١١٤٩م):**

٣٧- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: محمد سالم هاشم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

- **القزويني، زكرياء بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م):**

٣٨- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

- **القضاعي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله(ت٦٥٨هـ/١٢٦٠م):**

٣٩- التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

- **القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري(ت٨٢١هـ/١٤١٨م):**

٤٠- صبح الأعشى في كتابة الإنشا، تحقيق: عبد القادر زكار، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨١م.

- **ابن قيم الجوزيه، محمد بن أبي بكر أيوب(ت٧٥١هـ/١٣٥٠م):**

٤١- زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، ط١٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

- **ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي(ت٢٠٤هـ/٨٢٠م):**

٤٢- نسب معد واليمن الكبير، تحقيق: ناجي حسين، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

- **المالكي، عبد الله بن محمد المالكي(ت ٤٧٤هـ/١٠٨٢م):**

٤٣- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، تحقيق: بشير البكوش، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

- **المقدسي، محمد بن أحمد(ت٣٩٠هـ/١٠٠٠م):**

٤٤- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (مختارات)، تحقيق: غازي طليمات، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، ١٩٨٠م.

- **المكناسي ، أحمد بن القاضي المكناسي(ت١٠٢٥هـ/١٦١٦م):**

٤٥- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من العلماء مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، ١٩٧٣م.

- **ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن على(ت ٧١١هـ/١٣١١م):**

٤٦- لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت.

٤٧- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق: روحية النحاس وآخرين، ط١، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سوريا، ١٤٠٢هـ/١٩٨٤م.

- **ابن المواق، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن خلف بن فرج(ت٦٤٢هـ/١٢٤٥م):**

٤٨- بغية النقاد النقلة فيما أخل به كتاب البيان وأغفله، تحقيق: محمد خرشافي، ط١، مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

- **الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري(ت ١٣١٥هـ/١٨٩٨م):**

٤٩- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب ،الدار البيضاء، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

- **النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن(ت٣٠٣هـ/٩١٦م):**

٥٠- سنن النسائي، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

- **النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(ت٧٣٣هـ/١٣٣٣م):**

٥١- نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قمحية وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

- **ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر(ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م):**

٥٢- تاريخ ابن الوردي، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت،١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

- **ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله(ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م):**

٥٣- معجم البلدان، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

- **اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب(ت٢٩٢هـ/٩٠٥م):**

٥٤- تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت.

ثانيًا: المراجع:

- **أحمد عبد القوي محمد:**

١- العنزة في المغرب الأقصى بين التأصيل والدلالة الوظيفية، كلية الآثار والإرشاد السياحي، جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا، مجلد٢٢، عدد١، ٢٠٢١م.

- **إسماعيل البغدادي:**

٢- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- **الحبيب الجنحاني:**

٣- القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب العربي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٦٨م.

- **حسن حسني عبد الوهاب:**

٤- بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعره ابن رشيق، ط٢، مكتبة المنار، تونس، د. ت.

٥- شهيرات التونسيات، المطبعة التونسية، تونس،١٣٥٣هـ/١٩٣٤م.

- **الحسن السائح:**

٦- الحضارة الإسلامية في المغرب، ط٢، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

- **حسين مؤنس:**

٧- المساجد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨١م.

- **سليمان الحوات:**

٨- الروضة المقصودة والحلل الممدودة في مأثر بني سودة، مكتبة أحمد بن سودة، فاس، المغرب، ١٩٩٤م.

- **سيد أمير علي:**

٩- مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، ترجمة رياض رأفت، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٨م.

- **الصغير الغربي:**

١٠- مؤسسة القرويين أقدم جامعات العالم، مجلة أجسر، منظمة المجتمع العلمي العربي، ٢٠١٧م.

- **الطاهر بن محمد المعموري:**

١١- جامع الزيتونة ومدارس العلم في العهدين الحفصي والتركي، الدار العربية للكتاب، ميتشغان، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٨٠م.

- **عبد العزيز بن عبد الله:**

١٢- معطيات الحضارة المغربية، دار الكتب العربية، الرباط، ١٩٦٣م.

- **عبد الهادي التازي:**

١٣- جامع القرويين" المسجد والجامعة بمدينة فاس"، ط٢، دار نشر المعرفة، الرباط، المغرب،٢٠٠٠م.

١٤- تاريخ بناء القرويين، مجلة دعوة الحق، العدد الأول، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، أكتوبر، ١٩٦٢م.

- **عمر رضا كحالة:**

١٥- اعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- **فاتحة الأنصاري:**

١٦- فاطمة الفهرية مؤسسة جامعة القرويين، المجلة العربية العلمية للفتيان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، عدد ٣٧، ٢٠٢٢م.

- **فاطمة نافع:**

١٧- أبعاد شخصية السيدة فاطمة الفهرية أم البنين، مجلة عطاء، المجلس العلمي الأعلى، أكتوبر، ٢٠١١م.

- **الكتاني، عبد الحي الكتاني(ت١٣٨٢هـ/١٩٦٣م):**

١٨- نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت.

- **محمد خير رمضان يوسف:**

١٩- فقيهات عالمات، دار طويق للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، السعودية.

- **محمد زيتون:**

٢٠- القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، ط١، دار المنار، القاهرة، ١٩٨٨م.

- **محمد عبد العزيز الصباغ:**

٢١- جامع الأندلس بفاس، مجلة دعوة الحق، العدد الأول، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، أكتوبر، ١٩٦٢م.

- **محمد بن عزوز:**

٢٢- كرسي صحيح الإمام البخاري بجامع القرويين بمدينة فاس، ط١، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، المغرب، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

- **محمد المنتصر بالله الكتاني:**

٢٣- فاس عاصمة الأدارسة ورسائل أخرى، دار إدريس، ١٩٧٢م.

- **محمد المنوني:**

٢٤- كراسي الأساتذة بجامع القرويين، مجلة دعوة الحق، العدد٢، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٩٦٥م.

- **مهدي الإدريسي سليطين:**

٢٥- جامع القرويين وإشكالية التأسيس بين داود بن إدريس وفاطمة الفهرية " مقاربة تاريخية على ضوء السرديات التاريخية والمعطيات الأثرية، كلية الحكامة والعلوم الاقتصادية والاجتماعية، جامعة محمد السادس متعددة التخصصات التقنية، معهد الدراسات السياسية بباريس، نوفمبر ، ٢٠٢٤م.

- **يوسف حمادي:**

٢٦- " التابية " طريقة تقليدية لبناء البيوت في المغرب جلبها السودانيون، جريدة عمان، ١٩ يونيو ٢٠١٩م.